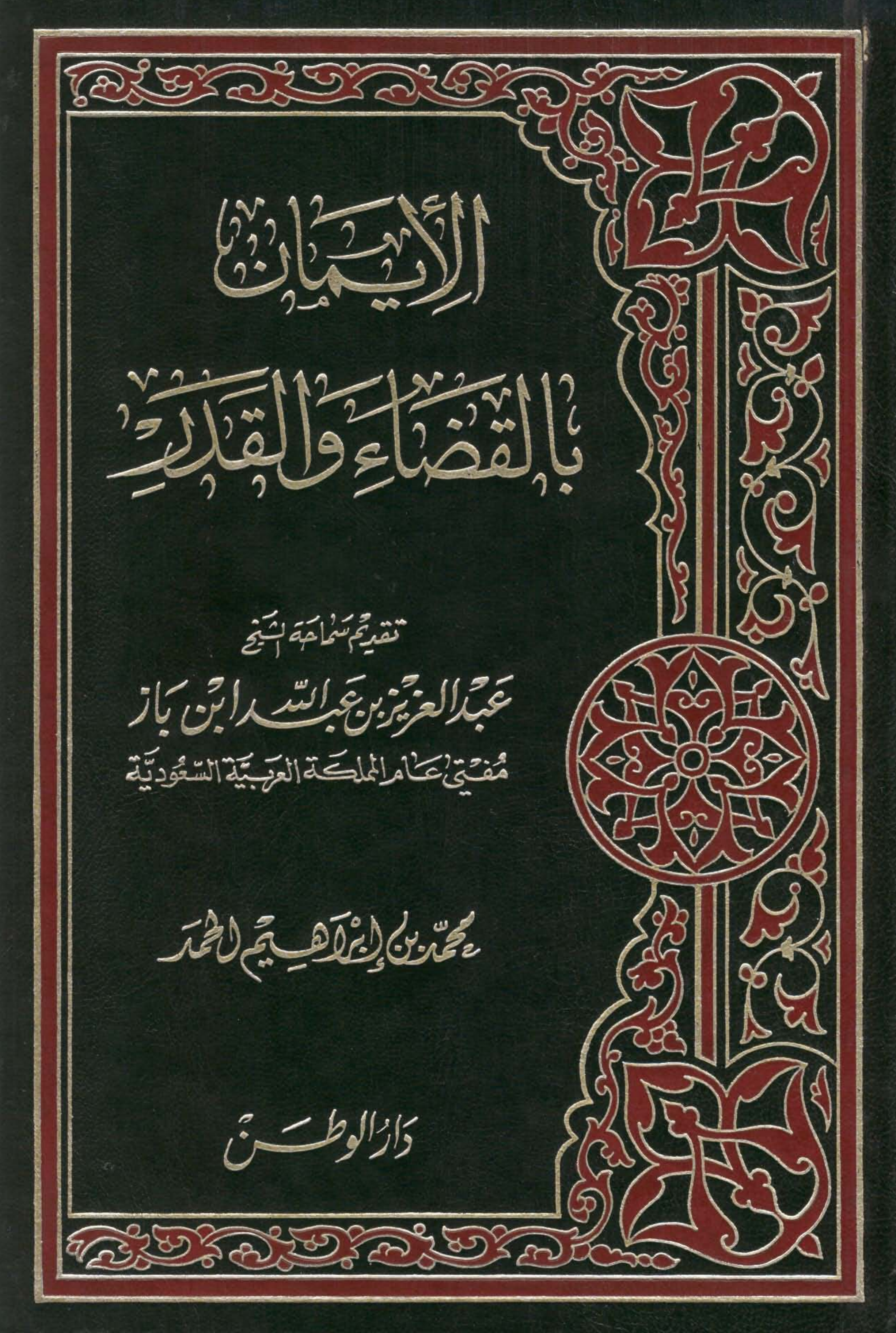


الإيمان
بالقضاء والقدر
تقديم سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله ابن باز
مفتي عام المملكة العربية السعودية
محمد بن إبراهيم الحمد
دار الوطن

الإيمان بالقضاء والقدر

تقديم سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله ابن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

محمد بن إبراهيم الحمد

دار الوطن

الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

الطبعة الثانية

١٤١٦هـ

ح

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الحمد ، محمد بن إبراهيم
الإيمان بالقضاء والقدر .
..ص، ..سم
ردمك ٣ - ٠٤٠ - ٢٨ - ٩٩٦٠
١ - القضاء والقدر (الإسلام)　　٢ - التوحيد　　٣ - العنوان
دبوي ٢٤١　　١٥/٣٧١٦

رقم الإيداع : ١٥/٣٧١٦
ردمك : ٣ - ٠٤٠ - ٢٨ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

مكتب المفتي العام للمملكة

الرقم: ٢/١٢٣٩

التاريخ: ١٤١٥/٦/٩

المشفوعات:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه. أما بعد: ـ

فقد اطلعت على ما كتبه الأخ في الله فضيلة الشيخ / محمد بن ابراهيم الحمد تحت عنوان « الإيمان بالقضاء والقدر » فألفيته كتاباً قيماً كثيرالفائده واضح العبارة في موضوع جدير بالعنا ية. وقد وفق المؤلف فيماكتبه عن ذلك. وقد علقت عليه حواشي قليله لتمام الفائدة. وأسأل الله أن ينفع به المسلمين وأن يضاعف الأجر للمؤلف وأن يزيدنا وإياه من العلم والهدى إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينامحمد وآله وصحبه.

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

مفتي عام المملكه العربيه السعوديه

ورئيس هيئة كبار العلماء وادارة البحوث العلمية والإفتاء

مقدمة

سماحة الشيخ / عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه . **أما بعد :**

فقد اطلعت على ما كتبه الأخ في الله فضيلة الشيخ / محمد ابن إبراهيم الحمد تحت عنوان « **الإيمان بالقضاء والقدر** » فألفيته كتاباً قيماً، كثير الفائدة؛ واضح العبارة، في موضوع جدير بالعناية ، وقد وفق المؤلف فيما كتبه عن ذلك ، وقد علقت عليه حواشي قليلة لتمام الفائدة، وأسأل الله أن ينفع به المسلمين ، وأن يضاعف الأجر للمؤلف، وأن يزيدنا وإياه من العلم والهدى ، إنه جواد كريم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه .

عبدالعزيز بن عبد الله ابن باز

مفتي عام المملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً كثيراً ـ .

أما بعد : فإن للإيمان بالقدر في دين الإسلام ـ مكانةً عليا ، وأهمية كبرى ؛ فالإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه ، ومبدأ الدين القويم وختامه ؛ فهو أحد أركان الإيمان ، وقاعدة أساس الإحسان [1] .

والقدر هو قدرة الله [2] ، فالمؤمن به مؤمن بقدرة الله ، والمكذب به مكذب بقدرة الله ـ عز وجل ـ .

ومما يدل على أهميته كثرة وروده في نصوص الشرع ، التي بينت حقيقته ، وجلت أمره ، وأوجبت الإيمان به .

وكذلك كتب العقيدة اهتمت به ، وأطنبت في ذكره ، والحديث عنه ، وكشف الشبه فيه ، والرد على المخالفين في أمره .

ومما يدل على أهميته وعظم شأنه ـ ما يترتب على الإيمان به من عظيم الثمرات في الدنيا والعقبى ، على الأفراد والمجتمعات ؛ وما

---

(١) انظر شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص٣ .

(٢) هذه مقولة للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨/٣٠٨ ، وطريق الهجرتين لابن القيم ص ١٧٠ .

يترتب على الكفر به والضلال في فهمه ـ من الشقاء والعذاب في الآخرة والأولى ، على الأفراد والمجتمعات ؛ ففهم باب القدر على الوجه الصحيح ، والإلمام به ـ ولو على سبيل الإجمال ـ من الأهمية بمكان ؛ فأكثر الخلق ضلوا في هذا الباب ، واعترضوا على قضاء الله الشرعي والكوني ، فحرموا الإيمان به ، وفقدوا فائدته وثمرته .

والإيمان بالقدر أمر فطري ، والعرب في جاهليتها وإسلامها لم تكن تنكر القدر ، كما صرَّح بذلك أحد أئمة اللغة وهو أحمد بن يحيى ثعلب بقوله : « مافي العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية وأهل الإسلام » (١) .

وإثباتهم للقدر مبثوث في ثنايا أشعارهم وخطبهم ـ كما سيمر بنا قريباً عند الحديث عن أدلة القدر ـ فهم يثبتون القدر ولا ينكرونه ، وإن كان هذا الإثبات قد يشوبه بعض التخبط والجهل في فهم حقيقة القدر .

فنجد ـ على سبيل المثال ـ زهير بن أبي سلمى يقول في معلقته المشهورة :

فلا تكتُمنَّ اللهَ ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يُكْتَمِ اللهُ يعلمِ
يؤخر فيوضع في كتاب فَيُدَّخَرْ ... ليوم الحساب أو يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ (٢)

ثم تراه في موضع آخر من تلك المعلقة يقول :

رأيت المنايا خبطَ عشواءَ من تُصِبْ ... تُمِتْهُ ومن تخطئْ يُعَمَّرْ فيهرمِ (٣)

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٢/ ٧٠٤ ـ ٧٠٥ .
(٢) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٥ .
(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٢ .

فهو لا ينكر القدر ، وإنما يرى أن الأقدار كالناقة العشواء - ضعيفة البصر - تسير في الطريق ، فمن أصابته مات ، ومن أخطأته عاش .

وهذا جهل وتخبط في باب القدر ؛ ذلك أن المنايا مكتوبة مقدرة كما صرح بذلك غيره من أهل الجاهلية ، كعمرو بن كلثوم أحد شعراء المعلقات حيث قال :

وأنَّا سوف تدركنا المنايا مقدرةً لنا ومقدرينا (١)

وكما قال لبيد بن ربيعة العامري في معلقته المشهورة يصف البقرة الوحشية وحالها مع الوحوش الضارية :

صادفن منها غِرَّةً فأصبنها إن المنايا لا تطيش سهامها (٢)

وعندما بُعث النبي - عليه الصلاة والسلام - بين هذا الأمر - كغيره - غاية البيان ؛ فإن كلماته الجوامع النوافع في هذا الباب وغيره - كفت وشفت ، وجمعت وفرقت ، وأوضحت وبينت ، وحلَّت محل التفسير والبيان لما تضمنه القرآن .

ثم تلاه أصحابه من بعده ، وتلقوا ذلك عنه ، فاتبعوا طريقه القويم ، وساروا على منهجه المستقيم ، فجاءت كلماتهم كافية شافية ، مختصرة نافعة ؛ لقرب العهد ، ومباشرة التلقي ، من مشكاة النبوة ، التي هي مظهر كل نور ، ومنبع كل خير ، وأساس كل هدى ؛ فكانوا بذلك أعظم الناس فهماً وفقهاً لهذا الباب ، وأكثرهم إيماناً به وعملاً

---

(١) شرح القصائد المشهورات لابن النحاس ٢/ ٩١ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ص ١٧١ .

بمقتضاه ، فأثر ذلك فيهم أيما تأثير ، فكانوا ـ رضوان الله عليم ـ أتقى الناس ، وأكرم الناس ، وأشجع الناس بعد الأنبياء ـ عليهم السلام ـ .

ثم سلك أثرهم التابعون لهم بإحسان ، فاقتفوا طريقهم ، واهتدوا بهداهم ، ودعوا إلى مادعوا إليه ، ومضوا إلى ما كانوا عليه [١] .

ثم بعد ذلك دبَّ في هذه الأمة داء الأمم ، فركبت سنن من كان قبلها ، فدخلت الفلسفات اليونانية ، والهندية ، والفارسية وغيرها بلاد المسلمين ، وظهرت بدعة القدرية في البصرة ودمشق ، فوقع أول شرك في هذه الأمة ، وهو نفي القدر ، وكان ذلك في عهد أواخر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ الذين أنكروا تلك البدعة ، وأعلنوا البراءة منها ومن أهلها .

ثم جاء من بعدهم علماء السلف ، فتصدوا لتلك البدعة ، وبينوا زيفها ، وهتكوا سجفها ، ودحضوا باطلها ، وأظهروا الحق ونشروه ، ودعوا الأمة إليه .

ومع أن باب القدر معلوم بالفطرة ، وأن نصوص الشرع قد فصلته ، وبينته غاية البيان ـ إلا أنه يظل أعوص أبواب العقيدة ؛ فدقة تفاصيله ، وتشعب مسائله ، وكثرة الخوض فيه ، والشبهات حوله ـ كل ذلك يوجب صعوبة فهمه ، وعسر استيعابه ؛ ولهذا فلا غرو أن يحار الناس في شأنه في القديم وفي الحديث ؛ فلقد سلك العقلاء في هذا الباب في كل واد ، وأخذوا في كل طريق ، وتولجوا كل مضيق ،

---

(١) انظر شفاء العليل ص ٤ .

وقصدوا الوصول إلى معرفته ، والوقوف على حقيقته ، فلم يرجعوا بفائدة ، ولم يعودوا بعائدة ؛ لأنهم التمسوا الهدى من غير مظانه ، فتعبوا وأتعبوا ، وحاروا وتحيروا ، وضلوا وأضلوا .

وقد وفق الله ـ بمنه وكرمه ـ أهل السنة والجماعة لفهم هذا الباب ؛ لاتباعهم ما جاء في الكتاب والسنة ، ولاقتفائهم آثار السلف الصالح ؛ إذ لا يمكن فهم هذا الباب فهماً صحيحاً على وجه التفصيل إلا كما فهمه سلف هذه الأمة الصالح .

فأسعد الناس بالصواب في هذا الباب من تلقى ذلك من مشكاة الوحي المبين ، ورغب بفطرته وإيمانه عن آراء المتهوكين ، وتشكيكات المتشككين ، وتكلفات المتنطعين (١) .

ولهذا ما تخلف المسلمون في عصورهم المتأخرة إلا لأسباب أبرزها هو جهلهم وانحرافهم في باب العقيدة ـ عموماً ـ وفي باب القدر خصوصاً .

وذلك عندما اتخذ كثير منهم من الإيمان بالقدر مسوغاً واهياً لعجزهم وانهيارهم ، وإخلادهم إلى الأرض ، تاركين الأخذ بالأسباب ، ناسين ـ أو متناسين ـ أن أقدار الله إنما تجري وَفْقَ سننه الثابتة التي لا تتبدل ولا تتغير ، ولا تحابي أحداً كائناً من كان .

فلعل الأمة الإسلامية تفيق من رقدتها ، وتتولى قوامة البشرية وقيادتها ، وتأخذ مكانها اللائق بها ، وذلك بعودتها إلى عقيدتها الصافية النقية التي هي مصدر مجدها ، ومنبع عزها .

---

(١) انظر شفاء العليل ص ٥ .

وإن مما دفعني إلى الكتابة في باب القدر ـ مع صعوبته وتشعبه ، ومع قلة بضاعتي ، وضعف تجربتي وصناعتي ـ هو ما يُرى من توالي الأسئلة عنه ، وتتابع الإيرادات والشبهات حوله ، وكثرة التخبط والخوض فيه بغير علم .

لذا استخرت الله ـ عز وجل ـ للكتابة فيه ، فجمعت ما تيسر من متناثره ، وحرصت ـ قدر المستطاع ـ على إيضاح ما دق من مسائله ، مستنيراً بذلك بأضواء الكتاب والسنة ، مستعيناً عليه بفهم سلف هذه الأمة ؛ وذلك رغبة في تجلية هذا الأمر ، وبيان حقيقته .

فما كان في ذلك من حق فهو محض فضل الله ، وما كان فيه من خلل أو خطل فمن نفسي والشيطان ، ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨)** ﴾ [سورة هود ، الآية : ٨٨] .

أما خطة هذا البحث فقد اشتملت على تمهيد ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة ، وذلك كما يلي :

تمهيد : وتم الحديث فيه عن مسألة في حكم الحديث عن القدر .

الباب الأول

الاعتقاد الحق في القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : مفهوم الإيمان بالقدر وثمراته .

الفصل الثاني : ما يتضمنه الإيمان بالقدر .

الباب الثاني

شبهات وإشكالات حول القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : مسائل تتعلق بالقدر

الفصل الثاني : إشكالات ودفعها

الباب الثالث

الانحراف في مفهوم القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : أخطاء في القدر

الفصل الثاني : الضلال في القدر

الخاتمة

وقد اشتملت على ملخص موجز لما جاء في ثنايا البحث .

وأخيراً ألتمس العذر من القراء إن كان هناك تقصير أو قصور ، وآمل ممن يلاحظ خللاً أن ينبهني عليه وله الدعاء والشكر .

وفي الختام أتوجه بالشكر إلى الله ـ عز وجل ـ على ما يسر وأعان ، وأسأله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يغفر لي ما كان فيه من زلل ، كما أسأله أن يجزل الأجر والمثوبة **لسماحة**

الشيخ الوالد العلامة عبدالعزيز بن عبدالله ابن باز الذي تكرم بالاطلاع على هذا الكتاب، ووشَّاه ببعض التعليقات، وتفضل بكتابة مقدمة عليه؛ فجزاه الله خير الجزاء، وبارك في عمره، ونفع به الأمة.

كما أشكر الإخوة الفضلاء من المشايخ وطلاب العلم ممن أفادوا بملحوظاتهم، واستدراكاتهم، وإعاناتهم، فجزاهم الله خير الجزاء، وضاعف لهم الأجر والمثوبة.

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً..

محمد بن إبراهيم الحمد

الطبعة الأولى ١٣/ ٧/ ١٤١٤هـ

الطبعة الثانية ٢٧/ ٩/ ١٤١٥هـ

الزلفي ١١٩٣٢ ـ ص.ب ٤٦٠

تمهيد

مسألة في حكم الحديث عن القدر

مسألة في حكم الحديث عن القدر

قبل أن ندخل في تفاصيل الحديث عن موضوع القضاء والقدر ـ يجدر بنا أن نقف عند مسألة أثيرت قديماً ، وتثار حديثاً ، مفادها أنه لا ينبغي الحديث في مسائل القدر مطلقاً ؛ بحجة أن ذلك يبعث على الشك والحيرة ، وأن هذا الباب زلّت به أقدام ، وضلّت به أفهام .

والكلام هكذا ـ على إطلاقه ـ غير صحيح ؛ لأمور عديدة منها :

١ ـ **أن الإيمان بالقدر** ركنٌ من أركان الإيمان ، ولا يتم إيمان العبد إلا به ، فكيف يُعرف إذا لم يُتحدثْ عنه ، ويُبيَّنَ للناس أمره ؟! .

٢ ـ **أن الإيمان بالقدر** ورد في أعظم حديث في الإسلام ، وهو حديث جبريل ـ عليه السلام ـ وكان ذلك في آخر حياة النبي ـ ﷺ ـ ، وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ في آخر الحديث « **فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم** » (١) . فمعرفته من الدين ، وهي واجبه ولو على سبيل الإجمال .

---

(١) مسلم في كتاب الإيمان ، ١/ ٣٨ برقم (٨) .

٣ ـ **أن القرآن الكريم** مليء بذكر القدر وتفاصيله ، والله ـ عز وجل ـ أمرنا بتدبر القرآن وعَقْله ، كما في قوله تعالى : ﴿ **كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ** ﴿٢٩﴾ ﴾[سورة ص، الآية : ٢٩] وقوله : ﴿ **أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة محمد، الآية : ٢٤] ، فما الذي يخرج الآياتِ التي تتحدث في القدر من هذا العموم ؟! .

٤ ـ **أن الصحابة ـ رضي الله عنهم** ـ سألوا النبي ـ ﷺ ـ عن أدق الأمور في القدر ، كما جاء في حديث جابر في صحيح مسلم عندما جاء سراقة بن مالك بن جعشم إلى النبي ـ ﷺ ـ فقال : يا رسول الله بيِّن لنا ديننا كأنا خُلقنا الآن ، فيما العمل اليوم ؟ أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير ؟ أم فيما نستقبل ؟ قال : « **لا بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير** » قال : ففيم العمل ؟ فقال : « **اعملوا فكل ميسر** » ، وفي رواية « **كل عامل ميسر لعمله** » (١) .

٥ ـ **أن الصحابة علَّموا تلاميذهم** ـ من التابعين ـ ذلك ، وسألوهم ؛ ليختبروهم ، وليحزُروا فهمهم ، كما جاء في صحيح مسلم أن أبا الأسود الدؤلي قال : قال لي عمران بن الحصين : « أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، أشيء قُضي عليهم ، ومضى عليهم من قدر ما سبق ؟ أو فيما يُستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت : بل شيء قُضي عليهم ، قال : فقال : أفلا يكون ظلماً؟ قال : ففزعت من ذلك فزعاً شديداً ، وقلت : كل شيء خلق

(١) مسلم باب القدر (٨/ ٤٨) برقم (٢٦٤٨) .

الله ، وملك يده ، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فقال لي : يرحمك الله ، إني لم أُرِدْ بما سألتك إلا لأحْزُر عقلك »(١) .

٦ ـ **أن أئمة السلف الصالح** من العلماء أَلَّفوا في هذا الباب ، بل وأطنبوا فيه ، فلو قلنا بمنع الحديث عن القدر ـ لضللناهم وسفهنا أحلامهم .

٧ ـ **لو تركنا الحديث عن القدر** لجهل الناس به ، ولربما انفتح الباب لأهل البدعة والضلالة ليروجوا باطلهم ، ويَلبسوا على المسلمين دينهم .

٨ ـ **لو تركنا الحديث عن القدر** ، وعن ثمراته ـ لفاتنا علم غزير وخير كثير .

فإن قيل كيف نجمع بين هذا وبين ما ورد في ذم الخوض في القدر ، كما في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** »(٢) .

---

(١) مسلم باب القدر (٨/ ٤٨ ـ ٤٩) برقم (٢٦٥٠) .

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ، (١٠/ ٢٤٣) رقم ١٠٤٤٨ ، وأبو نعيم في الحلية ، ٤/ ١٠٨ وقال أبو نعيم : « غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر » . وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٢ : « وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح » . وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ، ١/ ٤١ : « إسناده حسن » . وحسنه ابن حجر في الفتح ، ١١/ ٤٨٦ ، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير فيض القدير ، ١/ ٣٤٨ ، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٥) : صحيح وانظر : السلسلة الصحيحة ، ١/ ٤٢ برقم (٣٤) ، وقال=

وكذلك ما ورد أن النبي ـ ﷺ ـ غضب غضباً شديداً عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر ، حتى احمرَّ وجهه ، حتى كأنما فُقيء في وجنتيه حب الرمان ، فقال : « **أبهذا أُمرتم ؟ أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما أهلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه** »(١) .

فالجواب عن ذلك أن النهي الوارد منصب على الأمور الآتية :

١ ـ الخوض بالقدر بالباطل وبلاعلم ولا دليل .

٢ ـ الاعتماد في معرفة القدر على العقل البشري القاصر بعيداً عن هدي الكتاب والسنة ؛ وذلك أن العقل البشري لايستقل بمعرفة ذلك على وجه التفصيل (٢) .

= المباركفوري في تحفة الأحوذي ، ٦/ ٣٣٦ : إسناده حسن .
وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان ـ رضي الله عنه ـ بلفظه عند الطبراني في الكبير ، ٢/ ٩٦ رقم ١٤٢٧ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ، ٧/ ٢٠٢ : وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف .

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة في كتاب القدر باب ماجاء في التشديد في الخوض في القدر ، ٤/ ٤٤٣ رقم (٢١٣٣) وقال : وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس ، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري ، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لايتابع عليها .
وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ، ٢/ ٢٢٣ رقم ١٧٣٢ ـ ٢٢٣١ : حسن .
وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ بلفظ : « لاتجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم » أخرجه أحمد ، ١/ ٣٠ ، وأبو داود ، ٥/ ٨٤ رقم ٤٧١٠ـ٤٧٢٠ ، والحاكم ، ١/ ٨٥ .

(٢) انظر : الإبانة لابن بطة العكبري ، ١/ ٤٢١ـ٤٢٢ .

٣ ـ عدم التسليم والإذعان للّه ـ تعالى ـ في قدره ؛ ذلك لأن القدر غيب، والغيب مبناه على التسليم .

٤ ـ البحث عن الجانب الخفي في القدر ، الذي هو سر الله في خلقه ، والذي لم يطَّلع عليه ملك مقرب ، ولا نبي مرسل ، وذلك مما تتقاصر العقول عن فهمه ومعرفته [١] .

٥ ـ الأسئلة الاعتراضية التي لاينبغي أن يُسأل عنها ، كمن يقول متعنتاً : لماذا هدى الله فلاناً ، وأضل فلاناً ؟ ولماذا كلَّف الله الإنسان من بين سائر المخلوقات ؟ ولماذا أغنى الله فلاناً ، وأفقر فلاناً؟ ، وهكذا. . . أما « من سأل مستفهماً فلا بأس به ؛ فشفاء العي السؤال ، أما من سأل متعنتاً غير متفقه ولا متعلم ـ فهو الذي لايحل قليلُ سؤاله ولا كثيرُهُ» [٢] .

٦ ـ التنازع في القدر ؛ الذي يؤدي إلى اختلاف الناس فيه ، وافتراقهم في شأنه ، فهذا مما نهينا عنه .

ولا يدخل في التنازع المذموم منازعة الفرق الضالة ، ورد شبههم، ودحض حججهم ؛ لأن في ذلك إحقاقاً للحق ، وإبطالاً للباطل .

ومن هنا يتبين لنا أن النهي عن الحديث في القدر على إطلاقه غيرُ صحيح ، وإنما النهي كان عن الأمور الأنفة الذكر .

---

(١) انظر : الدين الخالص لصديق حسن ، ٣/ ١٧١ .

(٢) شرح الطحاوية ، ص ٢٦٢ ، وانظر : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ، ص ٣٥ ، وشرح السنة للبربهاري ص ٣٦ .

أما البحث فيما يستطيع العقل البشري أن يجول فيه ، ويفهمه من منطلق النصوص ، كالبحث في مراتب القدر ، وأقسام التقدير ، وخلق أفعال العباد ، إلى غير ذلك من مباحث القدر - فهذا ميسر واضح لايمنع من البحث فيه ، على أنه لايستطيع كل أحد أن يفهمها على وجه التفصيل ، إلا أن هناك من يعلمهاويكشف ما فيها .

ومما يؤيد ذلك - من أن النهي ليس على إطلاقه - أنه ورد في الحديث السابق حديث ابن مسعود مع الأمر بالإمساك عن القدر - الإمساكُ عن الصحابة ، والإمساك عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عما شجر بينهم ، والكف عن ذكر مساوئهم ، وتنقصهم وثلبهم .

أما ذكر محاسنهم ، والثناء عليهم - فهذا أمر محمود بلا خلاف ؛ فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم وزكاهم ، وكذلك الرسول - ﷺ - .

ومما يؤيد ذلك - أيضاً - أن سبب غضب النبي - ﷺ - كما في الحديث السابق - حديث الترمذي - إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر ، « وهذا يعني أن الكلام في القدر ، أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه ، وإنما الذي نهى عنه الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو التنازع في القدر »(١) .

وتحرير القول في هذه المسألة وخلاصته - أن الحديث عن القدر لايفتح بإطلاق ولا يغلق بإطلاق ، فإذا كان الحديث بحق فلا يمنع ولا ينهى عنه ، بل قد يجب ، وإن كان بباطل فيمنع وينهى عنه .

---

(١) القضاء والقدر في الإسلام ، د. فاروق الدسوقي ، ١/ ٣٦٨ .

الباب الأول

الاعتقاد الحق في باب القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : مفهوم الإيمان بالقدر وثمراته

الفصل الثاني : ما يتضمنه الإيمان بالقدر

الفصل الأول

مفهوم الإيمان بالقدر وثمراته

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف القضاء والقدر والعلاقة بينهما

المبحث الثاني : ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الثالث : أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

المبحث الرابع : أقوال مضيئة في القدر

الفصل الأول

مفهوم الإيمان بالقدر وثمراته

المبحث الأول

تعريف القضاء والقدر، والعلاقة بينهما

أولا: القـدر:

القدر في اللغة: « مصدر قَدر يَقْدرُ قَدَراً وقد تسكن داله » [١] قال ابن فارس: « قدر: القاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته؛ فالقدْر مبلغ كل شيء، يقال: قَدْرُه كذا أي مبلغه، وكذلك القَدَر، وقدرت الشيء أقدِرُه وأقْدُرُه من التقدير » [٢].

والقدَر: محركة: القضاء والحكم، وهو مايقدره اللّه ـ عز وجل ـ من القضاء، ويحكم به من الأمور.

والتقدير: التروية والتفكير في تسوية أمر، والقدَر كالقدْر، وجميعُها جمعُها أقدار [٣].

والقدر في الاصطلاح: « تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمه،

---

(١) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٤/ ٢٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٦٢، وانظر: النهاية، ٤/ ٢٣.

(٣) انظر: لسان العرب، (٥/ ٧٢) مادة قدر، والقاموس المحيط، ٥٩١ مادة قدر.

واقتضته حكمته »[١] .

أو هـو : « مـا سـبق به العلم وجـرى به القلـم ، مما هـو كـائن إلى الأبد ، وأنه ـ عز وجل ـ قدَّر مقادير الخلائق ، وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل ، وعلم ـ سبحانه وتعالى ـ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده ـ تعالى ـ وعلى صفـات مخصوصة ، فهي تقـع على حسب ما قدرها »[٢] .

ثانيا : القضـاء :

القضاء في اللغة : « هو الحكم والصنع ، والحتم ، والبيان .

وأصله القطع ، والفصل ، وقضاء الشيء ، وإحكامه ، وإمضاؤه والفراغ منه ، فيكون بمعنى الخلق »[٣] .

العلاقـة بين القضـاء والقـدر :

١ ـ **قيل** : « المراد بالقدر : التقدير ، وبالقضاء الخلق ، كقوله تعالى : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ [سورة فصلت ، الآية : ١٢] أي خلقهن ، فالقضاء والقدر أمران متلازمان ، لاينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس وهو القدر ، والآخر بمنزلة البناء وهو القضاء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه »[٤] .

---

(١) رسائل في العقيدة للشيخ ابن عثيمين ، ٣٧ .

(٢) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ١/ ٣٤٨ .

(٣) انظر : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ، ٤٤١ـ٤٤٢ ، وانظر : لسان العرب ، ١٥/ ١٨٦ ، والقاموس (١٧٠٨) مادة : قضى ، وانظر : مقاييس اللغة ، ٥/ ٩٩ .

(٤) لسان العرب ، ١٥/ ١٨٦ ، والنهاية ، ٤/ ٧٨ .

٢ ـ **وقيل العكس** : « فالقضاء هو العلم السابق الذي حكم اللّه به في الأزل ، والقدر هو وقوع الخلق على وزن الأمر المقضي السابق »[١] .

قال ابن حجر العسقلاني : « وقالوا ـ أي العلماء ـ : القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل ، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله »[٢] .

٣ ـ **قيل** : إذا اجتمعا افترقا بحيث يصبح لكل واحدٍ منهما مدلول بحسب ما مرَّ في القولين السابقين ، وإذا افترقا اجتمعا ، بحيث إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر[٣] .

---

(١) القضاء والقدر : الشيخ د. عمر الأشقر ، ٢٧ .

(٢) فتح الباري : ١١/ ٤٨٦ .

(٣) انظر : الدرر السنية ، ١/ ٥١٢ـ٥١٣ .

المبحث الثاني

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر (١)

الإيمان بالقدر يثمر ثمرات جليلةً تعود على الأفراد والمجتمعات ، في الدنيا والآخرة ، فمن تلك الثمرات مايلي :

١ أداء عبادة الله ـ عز وجل ـ :

فالقدر مما تعبدنا اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ بالإيمان به .

٢ الإيمان بالقدر طريق الخلاص من الشرك :

فالمجوس زعموا : أن النور خالق الخير ، والظلمة خالقة الشر ، والقدرية قالوا : إن اللّه لم يخلق أفعال العباد ، فهم أثبتوا خَالقَيْنَ مع اللّه ـ جلَّ وعلا ـ وهذا شركٌ ، والإيمان بالقدر على الوجه الصحيح توحيد للّه .

أضف إلى ذلك أن المؤمن بالقدر يعلم أن جميع الكائنات واقعة تحت قهر الله ، محكومة بقدره ، ليس لها من الأمر شيء ، فلا تملك

(١) انظر : إلى الجامع الصحيح في القدر ، للشيخ : مقبل بن هادي الوادعي ، ص ١١-١٢ ، والقضاء والقدر د. عمر الأشقر ، ١٠٩ ـ ١١٢ ، ومجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي للشيخ ابن عثيمين، ١/ ٧٣ ، والإيمان للدكتور : محمد نعيم ياسين ، ص ١٩٠ ـ ١٩٧ . والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة ومذاهب الناس فيه للشيخ د. عبد الرحمن المحمود ص ٢٩٣ ـ ٣٠٠ .

لنفسها ـ فضلاً عن غيرها ـ جلبَ نفع أو دفع ضر ، وأن أزمة الأمور كلها بيد الله ، فهو المعطي لمن شاء ، المانع لمن شاء ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه .

فإذا آمن المؤمن بذلك وأيقن به ـ انبعث إلى إفراد الله بالعبادة ، وتجنب التمسح بأتربة القبور ، وعتبات الصالحين ، وابتعد عن دعاء غير الله عموماً ، وأفرد ربه بجميع أعماله .

٣ الشجاعة والإقدام :

فالذي يؤمن بالقدر يعلم أنه لن يموت إلا إذا جاء أجله ، وأنه لن يناله إلا ما كُتب له ، فَيُقدم غير هيَّاب ولا مبال بما يناله من الأذى والمصائب في سبيل اللّه ، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ :

أي يومي من الموت أفِر يوم لا يقدر أو يوم قدر
يوم ما قدِّر لا أرهبه وإذا قدر لاينجي الحذر (١)

٤ قوة الإيمان :

فالذي يؤمن بالقدر يقوى إيمانه ، فلا يتخلى عنه ولا يتزعزع أو يتضعضع مهما ناله في ذلك السبيل .

٥ الصبر والاحتساب ومواجهة الأخطار والصعاب :

فالذين لايؤمنون بالقدر ربما يؤدي الجزع ببعضهم إلى أن يكفروا

(١) ديوان الإمام علي ص ٧٩ ـ ٨٠ .

باللّه، وبعضهم يُجن، وبعضهم يصبح موسوساً، وبعضهم يلجأ إلى المخدرات، وبعضهم يقتل نفسه، ولذلك يكثر الانتحار في البلاد التي لا يؤمن أهلها بالقدر كأمريكا، والسويد، والنرويج، بل إن الأمر وصل بالسويد إلى أن يفتحوا مستشفيات للانتحار ، وأسباب ذلك ترجع لأمور تافهة ؛ فبعضهم ينتحر بسبب تخلي خطيبته عنه ، وبعضهم بسبب رسوبه في الامتحان ، وبعضهم بسبب وفاة المطرب الذي يحبه ، وقد يكون الانتحار جماعياً ! والعجيب في الأمر أن غالبية المنتحرين ليسوا من الفقراء بل هم من الطبقة الغنية ، بل ويقع الانتحارمن الأطباء النفسيين الذين يُظن بهم أنهم يجلبون السعادة للناس ! .

(٦) الهداية :

كما في قوله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ** ﴾ [سورة : التغابن ، الآية : ١١] .

قال علقمة : « هو الرجل تصيبه المصيبة ، فيعلم أنها من قبل الله ـ تعالى ـ فيسلم ويرضى » (١) .

(٧) الكرم :

فالذي يؤمن بالقدر ، وأن الفقر والغنى بيد اللّه ، وأنه لايفتقر إلا إذا قدر اللّه له ذلك ـ فإنه ينفق ولا يبالي .

(٨) التوكل واليقين والاستسلام لله ، والاعتماد عليه :

كما قال تعالى : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾ [سورة التوبة ، الآية : ٥١] .

---

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٨/ ٢٨٣ .

٩ الإخلاص :

فالذي يؤمن بالقدر لايعمل لأجل الناس ؛ لعلمه أنهم لن ينفعوه إلا بشيء قد كتبه اللّه له .

١٠ إحسان الظن بالله ، وقوة الرجاء :

فالمؤمن بالقدر حسنُ الظن باللّه ، قويُّ الرجاء به في كل أحواله ، يصدق عليه قول القائل :

ما مسني قدرٌ بكرهٍ أو رضا إلا اهتديت به إليك طريقا

١١ الخوف من الله ، والحذر من سوء الخاتمة :

فالمؤمن بالقدر تجده دائماً على خوف من اللّه ، وحذر من سوء الخاتمة ؛ إذ لا يأمن مكر اللّه إلا القوم الخاسرون ، فلا يغتر بعمله مهما كثُر ؛ فإن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها حيث يشاء ، والخواتيم علمها عند الله - عز وجل - .

١٢ الإيمان بالقدر يقضي على كثير من الأمراض التي تفتك بالمجتمعات ، وتزرع الأحقاد بينها ، وذلك مثل رذيلة الحسد ؛ فالمؤمن لا يحسد الناس على ماآتاهم اللّه من فضله ؛ لإيمانه بأن اللّه هو الذي رزقهم ، وقدر لهم ذلك ، فأعطى من شاء ، ومنع من شاء ابتلاءً وامتحاناً منه - عز وجل - وأنه حين يحسد غيره - إنما يعترض على القدر[1] .

---

(١) انظر : مجلة البحوث الإسلامية عدد ٣٤ ص ٢٥٠ مبحث وسطية أهل السنة في القدر ، د . عواد المعتق .

١٣ تحرير العقل من الخرافات والأباطيل :

فمن بدهيات الإيمان بالقدر ـ الإيمان بأن ماجرى ، وما يجري ، وما سيجري في هذا الكون إنما هو بقدر الله ـ عز وجل ـ ، وأن قدر الله سر مكتوم ، لايعلمه إلا هو ، ولا يُطلع عليه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً .

ومن هذا المنطلق تجد أن المؤمن بالقدر ـ حقيقة ـ لايعتمد على الدجالين والمشعوذين ، ولا يذهب إلى الكهان والمنجمين والعرافين ، فلا يصدق أقوالهم ، ولاينطلي عليه زيفهم ودجلهم ؛ فيعيش سالماً من زيف هذه الأقاويل ، متحرراً من جميع تلك الخرافات والأباطيل .

قال لبيد بن ربيعة ـ رضي الله عنه ـ :

لعمرك ماتدري الضواربُ بالحصى
ولازاجراتُ الطير مااللهُ صانعُ
سلوهنَّ إن كذبتموني متى الفتى
يذوق المنايا أومتى الغيثُ واقع(١)

١٤ التواضع :

فالمؤمن بالقدر إذا رزقه اللّه مالاً ، أو جاهاً أو علماً ، أو غيرَ ذلك ـ تواضع للّه ؛ لعلمه أن هذا من اللّه ، وبقدر الله ، ولو شاء لانتزعه منه ، إنه على كل شيء قدير .

١٥ السلامة من الاعتراض على أحكام الله الشرعية ، وأقداره

(١) ديوان لبيد بن ربيعة ص ٩٠

الكونية، والتسليم للّه في ذلك كله .

(١٦) **الجد والحزم في الأمور** ، والحرص على كل خير ديني أو دنيوي كما في قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **احرص على ماينفعك ، واستعن باللّه ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل : قَدَرُ اللّه وما شاء فعل** » (١) .

(١٧) **الشكر :**

فالمؤمن بالقدر يعلم أن مابه من نعمة فمن اللّه وحده ، وأن اللّه هو الدافع لكل مكروه ونقمة ، فينبعث بسبب ذلك إلى شكر اللّه ؛ إذ هو المنعم المتفضل الذي قدر له ذلك ، وهو المستحق للشكر ، وهذا لايعني ألا يشكر الناس .

(١٨) **الرضا :**

فيرضى باللّه رباً مدبراً مشرعاً ، فتمتلىء نفسه بالرضا عن ربه ، فإذا رضي باللّه أرضاه اللّه ـ عز وجل ـ ، « فالرضا باب اللّه الأعظم وجنة الدنيا ، ومستراح العابدين » (٢) .

(١٩) **الفرح :**

فيفرح المؤمن بالقدر بذلك الإيمان الذي حرم منه أمم كثيرة : ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ** ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٥٨] .

---

(١) رواه مسلم ، ٨/٥٦ برقم (٢٦٦٤) .

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ، ٢/٤٧٦ .

(٢٠) الاستقامة على منهج سواء في السراء أو الضراء :

فالعباد فيهم قصور ، ونقص ، وضعف ، لا يستقيمون على منهج سواء إلا من آمن بالقدر ؛ فإن النعمة لاتبطره ، والمصيبة لا تقنطه .

(٢١) عدم اليأس من انتصار الحق :

فالمؤمن بالقدر يعلم علم اليقين أن العاقبة للمتقين ، وأن قدر اللّه في ذلك نافذ لا محالة ، فلا يَدبُّ اليأسُ إلى رُوعه ، ولا يعرف إليه طريقاً مهما احلولكت ظلمة الباطَل .

(٢٢) علو الهمة وكبر النفس :

فالمؤمن بالقدر تجده عالي الهمة ، كبير النفس ، لا يرضى بالدون، ولا بالواقع المر الأليم ، ولا يستسلم له محتجًا بالقدر ؛ إذ أن هذا ليس مجال الاحتجاج بالقدر ؛ لأنه من المعائب ، والاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب دون المعائب ، بل إن إيمانه بالقدر يحتِّم عليه أن يسعى سعياً حثيثاً لتغيير هذا الواقع حسب قدرته واستطاعته وذلك وفق الضوابط الشرعية .

(٢٣) الإيمان بالقدر على وجه الحقيقة يكشف للإنسان حكمة الله ـ عز وجل ـ فيما يقدره من خير أو شر :

فيعرف الإنسان بذلك أن وراء تفكيره ، وتخيلاته من هو أعظم وأعلم، ولهذا كثيراً مايقع الشيء فنكرهه وهو خير لنا ؛ فكم من الناس من يندم ويتحسر إذا فاته موعد إقلاع الطائرة ـ مثلاً ـ وما هي إلا مدة

يسيرة ثم يعلن بعدها عن سقوط الطائرة ، ووفاة جميع ركابها ، وكم من الناس من يتبرم ويضيق صدره لفوات محبوب أو نزول مكروب ، وما أن ينكشف الأمر ، ويستبين سر القدر إلا وتجده جذلاً مسروراً ؛ لأن العاقبة كانت حميدة بالنسبة له ، وصدق الله - تعالى - إذ يقول : ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦)﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢١٦] (١) .

وما أجمل قول من قال :

كم نعمةٍ لا تستقل بشكرها ... لله في طيِّ المكارهِ كامنة (٢)

وقول الآخر :

تجري الأمور على حكم القضاء وفي ... طيِّ الحوادث محبوبٌ ومكروهُ

وربما سرني ما كنت أحذره ... وربما ساءني ماكنت أرجوه (٣)

(٢٤) عزة النفس ، والقناعة ، والتحرر من رق المخلوقين :

فالمؤمن بالقدر - يعلم أن رزقه مكتوب ، وأنه لن يموت حتى يستوفي رزقه ، ويدرك كذلك أن الله حسبه وكافيه ورازقه ، وأن العباد مهما حاولوا إيصال الرزق له ، أو منعه عنه - فلن يستطيعوا إلا بشيء قد كتبه الله ؛ فينبعث بذلك إلى القناعة وعزة النفس ، والإجمال في الطلب ، وترك التكالب على الدنيا ، والتحرر من رق المخلوقين ،

---

(١) انظر : الفوائد لابن القيم ص ١٣٦ - ١٤٠ .

(٢) (٣) انظر : جنة الرضا في التسليم لما قدر الله وقضى للغرناطي ٣/ ٥٢ .

وقطع الطمع مما في أيديهم، والتوجه بالقلب إلى رب العالمين، وهذا آس فلاحه ورأس نجاحه . ومن جميل ما يذكر في هذا المعنى قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ :

أفادتني القناعةُ كلَّ عزٍّ وهل عزٌّ أعزُّ من القناعة
فصيِّرها لنفسك رأسَ مالٍ وصيِّر بعدها التقوى بضاعة
تَحُزْ ربحاً وتغنى عن بخيل وتنعم في الجنان بصبر ساعة (١)

ومن ذلك قول الشافعي ـ رحمه اللّه تعالى ـ :

رأيتُ القناعةَ كنز الغنى فَصِرْتُ بأذيالها ممتسك
فلا ذا يراني على بابه ولا ذا يراني به منهمك
وصرت غنياً بلا درهمٍ أمُرُّ على الناس شبهَ الملك (٢)

(٢٥) سكون القلب، وطمأنينة النفس، وراحة البال :

فهذه الأمور من ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر ، وهي مطلب ملح، وهدف منشود ، فكل من على وجه البسيطة يبتغيها ويبحث عنها، ولكن كما قيل :

كُلٌّ من في الوجود يطلب صيداً غير أنَّ الشباكَ مختلفاتُ

فلا يدرك هذه الأمور ، ولا يجد حلاوتها ، ولا يعلم ثمراتها ـ إلا

---

(١) ديوان الإمام على ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٢) ديوان الإمام الشافعي ، ص ٢٧ .

من آمن بالله وبقضائه وقدره .

وإنك لتجد عند خواص المسلمين من العلماء العاملين ، والعباد القانتين المتبعين من سكون القلب وطمأنينة النفس ـ ما لا يخطر على بال ، ولا يدور حول مايشبهه خيال ؛ فلهم في ذلك الشأن القِدْحُ المعلى ، والنصيب الأوفى .

فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ورحمه ـ يقول : « أصبحت ومالي سرورٌ إلا في مواضعِ القضاء والقدر » [(١)] .

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ يقول : « إنَّ في الدنيا جَنَّةً من لم يدخلْها لم يدخلْ جنةَ الآخرة » [(٢)] .

ويقول مقولته المشهورة التي قالها عندما اقتيد إلى السجن : « ما يصنع أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني ، أنا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، وإخراجي من بلدي سياحة»[(٣)] .

بل إنك تجد عند عوام المسلمين من سكون القلب ، وراحة البال ،

---

(١) جامع العلوم والحكم ١٠/ ٢٨٧ ، انظر : سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص٩٧ .

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم ص ٦٩ والشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعي الكرمي الحنبلي ص ٣٤ .

(٣) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي ٢/ ٤٠٢ ، انظر الوابل الصيب لابن القيم ص٦٩ . وانظر شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية ـ جهاده ـ دعوته ـ عقيدته للشيخ أحمد القطان ومحمد الزين ص ١٠١ .

وبرد اليقين ـ مالا تجده عند كبار الكتاب والمفكرين والأطباء من غير المسلمين؛ فكم من الأطباء من غير المسلمين ـ على سبيل المثال ـ من يعجب ، ويذهب به العجب كل مذهب ، وذلك إذا كان لديه مريضٌ مسلمٌ ، واكتشف أنه مصاب بداء خطير ـ كالسرطان مثلاً ـ ، فترى هذا الطبيب يحتار في كيفية إخبار هذا المريض ومصارحته بعلته ، فتجده يقدم رجْلاً ويؤخر الأخرى ، وتجده يمهد الطريق ، ويضع المقدمات ، كل ذلك خَشْيةً من ردة فعل المريض إزاء هذا الخبر .

وما أن يُعْلمَه بمرضه ، ويخبره بعلّته ـ إلا ويفاجأ بأن هذا المريض يستقبلَ هذا الخبر بنفس راضية ، وصدر رحب ، وسكينة عجيبة .

لقد أدهش كثيراً من هؤلاء إيمانُ المسلمين بالقضاء والقدر ، فكتبوا في هذا الشأن معبرين عن دهشتهم ، مسجلين شهادتهم بقوة عزائم المسلمين ، وارتفاع معنوياتهم ، وحسن استقبالهم لصعوبات الحياة .

فهذه شهادة حق من قوم حرموا الإيمان بالله وبقضائه وقدره .

ومليحةٍ شهدت لها ضراتُها ... والفضلُ ما شهدت به الأعداءُ

ومن هؤلاء الكتاب الذين كتبوا في ذلك ـ الكاتب المشهور (ر . ن . س . بودلي) مؤلف كتابيَّ (رياح على الصحراء) و (الرسول) وأربعة عشر كتاباً أخرى ، والذي أورد رأيه (ديل كارنيجي) في كتابه (دع القلق وابدأ الحياة) في مقالة بعنوان (عشت في جنة الله) يقول

بودلي : « في عام ١٩١٨ ولَّيت ظهري العالمَ الذي عرفته طيلة حياتي ، ويممت شطر أفريقيا الشمالية الغربية ، حيث عشت بين الأعراب في الصحراء ، وقضيت هناك سبعة أعوام ، أتقنت خلالها لغة البدو ، كنت أرتدي زيهم ، وآكل من طعامهم ، وأتخذ مظاهرهم في الحياة ، وغدوت مثلهم أمتلك أغناماً ، وأنام كما ينامون في الخيام ، وقد تعمقت في دراسة الإسلام ، حتى أنني ألفت كتاباً عن محمد - ﷺ - عنوانه « الرسول » وكانت تلك الأعوام السبعة التي قضيتها مع هؤلاء البدو الرُّحَّل من أمتع سِنيَّ حياتي ، وأحفلها بالسلام ، والاطمئنان ، والرضا بالحياة .

وقد تعلمت من عرب الصحراء كيف أتغلَّب على القلق ؛ فهم بوصفهم مسلمين - يؤمنون بالقضاء والقدر ، وقد ساعدهم هذا الإيمان على العيش في أمان ، وأخذ الحياة مأخذاً سهلاً هيناً ، فهم لايتعجلون أمراً ، ولا يلقون بأنفسهم بين براثن الهم قلقاً على أمر ، إنهم يؤمنون بأن « ما قُدِّرَ يكون » ، وأن الفرد منهم « لن يصيبه إلا ما كتب اللّه له » ، وليس معنى هذا أنهم يتواكلون ، أو يقفون في وجه الكارثة مكتوفي الأيدي كلاَّ »(١) .

ثم أردف قائلا : « ودعني أضرب لك مثلاً لما أعنيه : هَبّتْ ذاتَ يوم عاصفةٌ عاتيةٌ حملت رمال الصحراء ، وعبرت بها البحر الأبيض المتوسط ، ورمت بها وادي « الرون » في فرنسا ، وكانت العاصفةُ حارةً شديدةَ الحرارة ، حتى أحسست كأن شعرَ رأسي يتزعزع من

(١) دع القلق وابدأ الحياة ، ديل كارنيجي ، ص ٢٩٠ - ٢٩١ .

منابته؛ لفرط وطأة الحر ، وأحسست من فرط القيظ كأنني مدفوع إلى الجنون ، ولكنَّ العربَ لم يَشْكُوا إطلاقاً ، فقد هزوا أكتافهم ، وقالوا كلمتهم المأثورة « قضاء مكتوب » .

لكنهم ما أن مرت العاصفة حتى اندفعوا إلى العمل بنشاط كبير ، فذبحوا صغار الخراف قبل أن يودي القيظ بحياتها ، ثم ساقوا الماشية إلى الجنوب نحو الماء .

فعلوا هذا كله في صمت وهدوء ، دون أن تبدوا من أحدهم شكوى ، قال رئيس القبيلة ـ الشيخ ـ : لم نفقد الشيء الكثير ؛ فقد كنا خليقين بأن نفقد كل شيء ، ولكن حمداً للّه وشكراً ؛ فإن لدينا نحوَ أربعين في المائة من ماشيتنا ، وفي استطاعتنا أن نبدأ بها عملنا من جديد»[1] .

ثم قال : « وثمة حادثةٌ أخرى ، فقد كنا نقطع الصحراء بالسيارة يوماً ، فانفجر أحد الإطارات ، وكان السائق قد نسي استحضار إطار احتياطي ، وتولاني الغضب وانتابني القلق والهم ، وسألت صحبي من الأعراب : ماذا وعسى أن نفعل ؟ فذكَّروني بأن الاندفاع إلى الغضب لن يجدي فتيلاً ، بل هو خليق أن يدفع الإنسان إلى الطيش والحمق .

ومن ثم درجت بنا السيارة وهي تجرى على ثلاث إطارات ليس إلا ، لكنها ما لبثت أن كفَّت عن السير ، وعلمت أن البنزين قد نفذ ،

---

(١) دع القلق وابدأ الحياة ، ديل كارنيجي ، ص ٢٩٠ ـ ٢٩١ .

وهنالك أيضاً لم تَثُرْ ثائرةُ أحد من رفاقي الأعراب ، ولا فارقهم هدوؤهم ، بل مضوا يذرعون الطّريق سيراً على الأقدام » [١] .

وبعد أن استعرض بودلي تَجْربتَه مع عرب الصحراء علق بقوله : « قد أقنعتني الأعوامُ السبعةُ التي قَضيتُها في الصحراء بين الأعراب الرحل ـ أن الملتاثين ، ومرضى النفوس ، والسكيرين الذين تحفل بهم أمريكا وأوربا ـ ما هم إلا ضحايا المدنية التي تتخذ السرعة أساساً لها .

إنني لم أعان شيئاً من القلق قط وأنا أعيش في الصحراء ، بل هنالك في جنة اللّه وجدت السكينة ، والقناعة ، والرضا » [٢] .

وأخيراً ختم كلامَه بقوله : « وخلاصة القول أنني بعد انقضاء سبعة عشر عاماً على مغادرتي الصحراء ـ مازلت أتخذ موقف العرب حيال قضاء اللّه ، فأقابل الحوادث التي لاحيلة لي فيها بالهدوء والامتثال والسكينة .

ولقد أفلحت هذه الطباع التي اكتسبتها من العرب في تهدئة أعصابي أكثر مما تفلح آلاف المسكنات والعقاقير » [٣] .

---

(١) ، (٢) المرجع السابق ص ٢٩١ ـ ٢٩٥ وانظر الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي لطريفة بنت سعود الشويعر ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٩١ ـ ٢٩٥ وانظر الإيمان بالقضاء والقدر وأثره على القلق النفسي لطريفة بنت سعود الشويعر ص ٧٤ ـ ٧٥ .

المبحث الثالث

أدلة الإيمان بالقضاء والقدر

دل على هذا الركن العظيم من أركان الإيمان ـ الكتابُ ، والسنة ، والإجماع ، والفطرة ، والعقل ، والحس .

أما الأدلة من القرآن الكريم : فكثيرة جداً منها قوله تعالى : ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الأحزاب، الآية : ٣٨] . وقوله ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [سورة القمر، الآية : ٤٩] . وقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الحجر، الآية : ٢١] . وقوله : ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة المرسلات، الآيتان : ٢٢-٢٣]. وقوله : ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴾ [سورة طه، الآية : ٤٠] ، وقوله : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية : ٢] ، ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعلى، الآية : ٣] ، وقوله : ﴿ لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً ﴾ [سورة الأنفال، الآية : ٤٢] ، وقوله : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٤] .

أما من السنة : فكما قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ كما في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ : « **وتؤمن بالقدر خيره وشره** » (١) ، وروى مسلم

(١) رواه مسلم ، كتاب الإيمان ١/ ٣٨ رقم (٨) .

في الصحيح عن طاووس قال : (**أدركت ناساً من أصحاب رسول الله - ﷺ - يقولون : كل شيء بقدر ، قال : وسمعت عبدالله بن عمر يقول : كل شيء بقدر حتى العجز والكيْس أو الكيس والعجز**) (١) .

وقال - عليه الصلاة والسلام - : « **وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل** » (٢) .

هذا وسيمر معنا في ثنايا الكتاب أدلة كثيرة في الكتاب والسنة زيادةً على ما مضى .

أما الإجماع : فقد أجمع المسلمون على وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره من الله ، قال النووي - رحمه الله - : « وقد تظاهرت الأدلة القطعيات من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل الحل والعقد من السلف والخلف - على إثبات قدر الله - سبحانه وتعالى - » (٣) .

وقال ابن حجر - رحمه الله - « ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير - الله - تعالى - »(٤) .

أما الفطرة : فإن الإيمان بالقدر أمر معلوم بالفطرة قديماً وحديثاً ،

---

(١) مسلم ، ٤/ ٢٠٤٥ برقم (٢٦٥٥) ، ورواه أحمد في المسند ، تحقيق : أحمد شاكر ، ٨/ ١٥٢ برقم (٥٨٩٣) ، ورواه مالك في الموطأ ، ٢/ ٨٧٩ .

(٢) رواه مسلم ، ٨/ ٢٥٦ برقم (٢٦٦٤) .

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ١/ ١٥٥ .

(٤) فتح الباري ١١/ ٤٨٧ وانظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٣/ ٥٣٤ - ٥٣٨ حيث نقل الإجماع على ذلك عن جمع غفير من السلف ، وانظر مجموع الفتاوى ٨/ ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٩ .

ولم ينكره إلا الشــواذ من المشــركين من الأمم ، ولم يقع الخطأ في نفي القدر وإنكاره ، وإنما وقع في فهمه على الوجـه الصحيـح ، ولهــذا قال ـ سبحانه ـ عن المشركين : ﴿ **سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا** ﴾ [سورة الأنعام، الآية : ١٤٨] ، فهم أثبتوا المشيئة لله ، لكنهم احتجوا بها على الشــرك ، ثم بيَّن ـ سـبحانه ـ أن هـذا هــو شـأنُ مـن كان قبلهــم ، فقـال : ﴿ **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [سورة الأنعام، الآية : ١٤٨] .

وكـانت العـرب في الجـاهليـة تعـرف القـدر ولا تنكره ، ولـم يكن هناك من يرى أن الأمر مستأنف ، وهذا ما نجده مبثوثاً في أشعـارهم ، كما في قول عنترة :

يا عــبلُ أيـن من المنــيه مهــربي   إن كان ربي في السماء قضاها (١)

وكما في قول طرفة بن العبـد :

فلو شاء ربي كنت قيسَ بنَ خالدٍ   ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد(٢)

وقول لبيـد :

صادفــن منها غـرةً فأصــبنها   إن المنـايـا لا تطيش سـهامها(٣)

وكما في قول عمرو بن كلثوم :

---

(١) ديوان عنترة ، ص٧٤ .

(٢) شرح المعلقات العشر ، للزوزني ، ص١١٩ .

(٣) نفس المصدر السابق ، ص١٧٦ ، وانظر ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ١٧١ .

وأنَّا سوف تدركنا المنايا مقدرةً لنا ومقدرينا (١)

وقول زهير :

فلا تكتُمُنَّ الله ما في نفوسكم

ليخفي ومهما يُكْتِمِ الله يَعْلَمِ

يُؤخَّر فَيُوضَعْ في كتاب فَيُدَّخَرْ

ليوم الحساب أو يعجل فينقم(٢)

كما نجد ذلك أيضا في خطبهم ، كما في قول هانئ بن مسعود الشيباني في خطبته المشهورة في يوم ذي قار : « إنَّ الحذر لا يُنجي من القدر » (٣) .

ولم يقل أحد منهم بنفيه إطلاقاً ، كما صرح بذلك أحد كبار علماء العربية وهو أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب بقوله : « لا أعلم عربياً قدرياً ، قيل له : يقع في قلوب العرب القول بالقدر ؟ قال : معاذ الله ، ما في العرب إلا مثبت القدر خيره وشره أهل الجاهلية والإسلام ، وكلامهم كثير بيِّن ، ثم أنشد :

تجري المقادير على غرز الإبر

ما تنفذ الإبرة إلا بقدر

---

(١) شرح القصائد المشهورات ، لابن النحاس ، ٢/ ٩١ .

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، ص٢٥ .

(٣) الأمالي لأبي علي القالي ١/ ١٧١ ، وجمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ١/ ٣٧ وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ص ٣٣ .

قال : وأنشد لامرئ القيس :

إن الشقاء على الأشقين مكتوب[(١)] »

وقال لبيد :

إن تقوى ربِّنا خيرُ نفل
وبإذن الله ريثي وعجلْ
أحمد الله فلا ندَّ له
بيديه الخيرُ ما شاء فعل
من هداه سبل الخير اهتدى
ناعمَ البال ومن شاء أضل[(٢)]

أما دلالة العقل فهي أن العقل الصحيح يقطع أن الله هو خالق هذا الكون ، ومدبره ، ومالكه ، ولا يمكن أن يوجد على هذا النظام البديع ، والتناسق المتآلف ، والارتباط الملتحم بين الأسباب والمسببات هكذا صدفة ، إذ الموجود صدفة ليس له نظام في أصل وجوده ، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره ؟ .

فإذا تقرر عقلاً أن الله هو الخالق لزم ألا يقع شيءفي ملكه إلا ما قد شاءه وقدَّره .

---

(١) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، ٣/ ٥٣٨، وانظر : ٤/ ٧٠٤ـ٧٠٥ من الكتاب نفسه .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، ٤/ ٧٠٥ ، وانظر : شعر لبيد ابن ربيعة بين جاهليته وإسلامه ، لزكريا صيام ، ص ٩٥ .

ومما يدل على هذا التقرير قوله ـ تعالى ـ : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [سورة الطلاق، الآية : ١٢].

ثم إن تفاصيل القدر لا ينكرها العقل ، بل هي مما يتفق معه تمام الاتفاق، كما سيمر بنا قريباً .

أما دلالة الحس فنحن نشاهد ، ونسمع ، ونقرأ أن الناس تستقيم أمورهم بالإيمان بالقضاء والقدر ، وقد مرَّ شيء من ذلك عند الحديث عن ثمرات الإيمان بالقدر ، فالمؤمنون به حقًا هم أسعد الناس وأصبرهم، وأشجعهم ، وأكرمهم ، وأكملهم ، وأعقلهم ، ولو لم يكن الإيمان بالقدر حقًا لما حصل لهم ذلك ، ثم إن القدر « هو نظام التوحيد » (١) كما قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ، والتوحيد هو نظام الحياة ، فلا تستقيم حياة الناس استقامة حقيقية إلا بالتوحيد ، والتوحيد لايستقيم إلا بالإيمان بالقضاء والقدر .

ولعل فيما سيمر في آخر هذا البحث من قصص لأناس انحرفوا في باب القدر ـ شاهداً على ذلك ، ثم إن فيما أخبرنا الله ورسوله ﷺ من أمور الغيب المستقبلية التي وقعت كما جاء في الخبر ـ دليلاً حسيًا واضحًا على أن الإيمان بالقدر حق وصدق .

---

(١) مجموع الفتاوى ، ٣/ ١١٣ .

المبحث الرابع

كلمات مضيئة في القدر

ورد عن السلف الصالح أقوال جميلة ، وكلمات مضيئة ، تبين معنى القدر ، وتدل على أهميته ، وتحث على الإيمان به ، وتوصي بالرضا بما يقدره الله ويقضيه ، وتحذر من ضد ذلك .

كما ورد شيء من ذلك على ألسنة بعض الشعراء والحكماء .

فمن ذلك ما يلي :

(١) قال الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت ـ رضي الله عنه ـ : « دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني ، واجتهد لي . فقال : أجلسوني ، فلما أجلسوه قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان ، ولن تبلغ حقيقة العلم بالله ـ تبارك وتعالى ـ حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه وكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟

قال : تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يابني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أول ما خلق الله ـ تعالى ـ القلم ثم قال : اكتب ، فجرى بتلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** » .

يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار »[١] .

(٢) قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ : « القدر نظام التوحيد ؛ فمن وحَّد الله ، وآمن بالقدر ـ تم توحيده ، ومن وحد الله ، وكذب بالقدر ـ نقض توحيده »[١] .

(٣) وقال ـ أيضا ـ : « كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك »[٢] .

(٤) قال عكرمة : « سُئِل ابن عباس : كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان ـ صلوات الله عليه ـ نزل منزلاً فلم يدر ما بُعْدُ الماء ، وكان الهدهد مهندسًا ، قال : فأراد أن يسأله عن الماء ففقده .

قلت : وكيف يكون مهندسًا ، والصبي ينصب له الحبالة فيصيده ؟ قال : إذا جاء القدر حال دون البصر »[٣] .

(٥) قال كعب بن زهير ـ رضي الله عنه ـ :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٥ / ٣١٧ ، والترمذي (٤١٥٥) ، وقال الألباني بعد أن تتبع طرقه : « فالحديث صحيح بلا ريب) حاشية مشكاة المصابيح ١ / ٣٤ .

(١) مجموع الفتاوى ٣ / ١١٣ ، وذكر عبد الله بن أحمد في السنة كلامًا بنحوه لابن عباس ٢ / ٤٢٢ ، وكذا الآجري في الشريعة ص ٢١٥ ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٦٨٢ .

(٢) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص ٢٦ .

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة ٢ / ٤١٢ .

لو كنت أعجب من شيء لأعجبني
سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القـــدرُ
يسعى الفَتَى لأمـــورٍ ليس يدركها
والنفـسُ واحـدةٌ والهـم منتشـــر
والمـــرء ما عاش ممـدود له أمـل
لا تنتهي العين حتى ينتهي الأثر (١)

(٦) قال الحسن ـ رحمه الله ـ : « إن الله خلق خلقًا ، فخلقهم بقدر ، وقسم الآجال بقدر ، وقسم أرزاقهم بقدر ، والبلاء والعافية بقدر » (٢) .

(٧) وقال ـ أيضًا ـ : « من كذب بالقدر ـ فقد كذب بالإسلام » (٣) .

(٨) وقال في مرضه الذي مات فيه : « إن الله قدر أجلاً ، وقدر معه مرضًا ، وقدر معه معافاة ، فمن كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن ، ومن كذب بالقرآن فقد كذب بالحق » (٤) .

(٩) وهذه أبيات جميلة للشافعي ـ رحمه الله ـ تبين حقيقة الإيمان بالقدر ، قال عنها الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ في الانتقاء : إنها «من شعره الذي لا يُختلف فيه ، وهو أصح شيء عنه » (٥) ، وقال : « وهذه الآبيات من أثبت شيء في الإيمان بالقدر » (٦) .

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص ٧٧ .

(٢) ، (٣) ، (٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٦٨٢ .

(٥) الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص ٨٠ .

(٦) المصدر السابق ص ٨١ .

والأبيات هي :

و : ما شئتَ كان وإن لم أشأ
وما شئتُ إن لم تشأ لم يكنْ
خلقتَ العبادَ على ما علمتَ
وفي العلم يجري الفتى والمسنْ
على ذا مننتَ وهذا خذلتَ
وهذا أعنت وذا لم تُعِنْ
فمنهم شقيٌّ ومنهم سعيد
ومنهم قبيح ومنهم حسنْ (١)

يقول : « وما شئت » أي أنت يا رب « كان » أي بأمرك لا محالة ؛ لأن مشيئتك نافذة ، و « إن لم أشأ » أنا أيها العبد ، و « ما شئتُ » أنا «إن لم تشأ» يا رب « لم يكن » ؛ لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئتك .

« خلقت العباد على ما علمت » : أي حسب ما سبق به علمك الأزلي .

« وفي العلم يجري الفتى والمسن » : أي بمقتضى هذا العلم السابق يجري ويعمل الصغير والكبير ، ولا يخرج أحد عن ذلك .

« على ذا مننت » رحمةً تفضلاً ، « وهذا خذلت » حكمة وعدلاً ، «وهذا أعنت » بمنك وفضلك ، « وذا لم تعن » بحكمتك وعدلك ،

(١) الانتقاء ص ٨٠ ، وانظر : الاعتقاد للبيهقي ص ٨٨ . وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٧٠٢ ، وديوان الشافعي ص ١٣١ ـ ١٣٢ ، تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي .

«فمنهم شقي » ممن سبقت له الشقاوة ، « ومنهم سعيد » ممن سبقت له الحسنى والسعادة ، « ومنهم قبيح ومنهم حسن » فالله ـ عز وجل ـ هو الذي يصورهم في الأرحام كيف يشاء .

(١٠) قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : « القدر قدرة الله »[١] .

قال ابن القيم تعليقًا على هذه الكلمة : « واستحسن ابن عقيل هذا الكلام جدًا ، وقال : هذا يدل على دقة علم أحمد وتبحره في معرفة أصول الدين .

وهو كما قال أبو الوفاء ؛ فإن إنكار القدر إنكار لقدرة الرب على خلق أعمال العباد ، وكتابتها ، وتقديرها »[٢] .

(١١) قال محمود الوراق :

ليس عندي إلا الرضا بقضاء الله فيما أحببتُه أو كرهتُه
لولي الأمور يختار منها خيرَها لي عواقبًا ما عرفته
فأرى أن أردَّ ذاك إلى من عنده العلم الذي قد جهلته[٣]

(١٢) وقال الآخر :

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٣٠٨ ، وطريق الهجرتين ص ١٧٠ ، وشفاء العليل ص ٥٩ .

(٢) شفاء العليل ص ٥٩ ـ ٦٠ .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٦٩٣ .

ما قضى الله كائن لا محالةْ والشقي الجهول من لام حالهْ(١)

١٣ وقال الآخر :

اقنع بما ترزق يا ذا الفتى فليس ينسى ربُّنا نملةْ

إن أقبل الدهر فقم قائمًا وإن تولى مدبرًا نم له(٢)

١٤ وقال الشيخ محمد بن علي بن سلوم ـ رحمه الله ـ من علماء نجد :

أفعالنا مخلوقة لله لكنها كسب لنا يا لاهي

وكل ما يفعله العبادُ من طاعة أو ضدها مرادُ

لربنا من غير ما اضطرار منه لنا فافهم ولا تمار(٣)

---

(١) ، (٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٧٠ .

(٣) أورد هذه الأبيات الشيخ عبد الرحمن المحمود في كتابه القضاء والقدر ص ٢٥٨ .

الفصل الثاني

ما يتضمنه الإيمان بالقدر

وتحته خمسة مباحث :

المبحث الأول : مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القدر .

المبحث الثاني : مراتب القدر وأركانه .

المبحث الثالث : خلق أفعال العباد .

المبحث الرابع : أقسام التقدير .

المبحث الخامس : ما الواجب على العبد في باب القدر؟

الفصل الثاني
ما يتضمنه الإيمان بالقدر

المبحث الأول

مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في باب القدر

سُئل شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ سؤالاً عن القدر فأجاب عنه إجابة مطولة ضمنها مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، ومما قاله :

((مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ـ ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو أن الله خالق كل شيء ، وربه ، ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها ، وصفاتها القائمة بها ، من أفعال العباد ، وغير أفعال العباد .

وأنه ـ سبحانه ـ ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته ، وقدرته ، لا يمتنع عليه شيء شاءه ، بل هو قادر على كل شيء ، ولا يشاء شيئًا إلا وهو قادر عليه ، وأنه ـ سبحانه ـ يعلم ما كان ، وما يكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

وقد دخل في ذلك أفعال العباد ، وغيرها ، وقد قدر الله مقادير

الخلائق قبل أن يخلقهم ، قدر آجالهم ، وأرزاقهم ، وأعمالهم ، وكتب ذلك ، وكتب ما يصيرون إليه من سعادة ، وشقاوة ، فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء ، وقدرته على كل شيء ، ومشيئته لكل ما كان ، وعلمه بالأشياء قبل أن تكون ، وتقديره لها ، وكتابته إياها قبل أن تكون))(١) .

إلى أن قال : ((وسلف الأمة وأئمتها متفقون ـ أيضًا ـ على أن العباد مأمورون بما أمرهم الله به منهيون عما نهاهم عنه ، ومتفقون على الإيمان بوعده ، ووعيده الذي نطق به الكتاب والسنة ، ومتفقون على أنه لا حجة لأحد على الله في واجب تركه ، ولا محرم فعله ، بل لله الحجة البالغة على عباده)) (٢) .

وقال : ((ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ـ مع إيمانهم بالقضاء والقدر ، وأن الله خالق كل شيء ، وأنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه يضل من يشاء ، ويهدي من يشاء ـ أن العباد لهم مشيئة وقدرة ، يفعلون بمشيئتهم ، وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه ، مع قولهم : إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله ، كما قال الله ـ تعالى ـ : **﴿كَلاَّ إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾ ﴾**(٣)[سورة المدثر، الآيات / ٥٤ ـ ٥٦] .

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠ .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٨/ ٤٥٠ .

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، ٨/ ٤٥٩ .

المبحث الثاني

مراتب القدر وأركانه (١)

الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تُسمى مراتب القدر أو أركانه، وهي المدخل لفهم باب القدر، ولا يتم الإيمان به إلا بتحقيقها كلها، فبعضها مرتبط ببعض، فمن أقر بها جميعًا اكتمل إيمانه بالقدر، ومن انتقص واحدًا منها أو أكثر اختل إيمانه بالقدر، وهذه الأركان هي :

١ ـ العلم . ٢ ـ الكتابة .

٣ ـ المشيئة . ٤ ـ الخلق .

وقد نظمها بعضهم بقوله :

عِلْمٌ كِتابـةُ مولانا مشـيئَتُهُ وخَلْقُهُ وهو إيجادٌ وتكويـنُ

---

(١) انظر : العقيدة الواسطية مع شروحها، الروضة الندية، لزيد بن فياض، ص ٣٥٣، والتنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة للشيخ ابن سعدي مع تعليقات سماحة الشيخ ابن باز ص ٧٥ ـ ٨٠، وانظر : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ص٦١ ـ ١١٦، ومعارج القبول، للشيخ حافظ الحكمي ٢ / ٢٢٥، ٢٣٨، وأعلام السنة المنشورة، للحكمي أيضا، ص١٢٦ ـ ١٢٩، ورسائل في العقيدة، للشيخ ابن عثيمين ص ٣٧، وتقريب التدمرية، لابن عثيمين، ص ١٠٨ ـ ١٠٩، والقضاء والقدر، د. عمر الأشقر، ص ٢٩ ـ ٣٦، وشرح العقيدة الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ١٥٠ ـ ١٥٦، وخلاصة معتقد أهل السنة، تأليف : عبد الله بن سليمان المشعلي ص ٢٩ ـ ٣٠ .

المرتبة الأولى: العلم:

وهو الإيمان بأن الله عالم بكل شيء جملة وتفصيلاً ، أزلاً ، وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعاله ، أو بأفعال عباده ؛ فعلمه محيط بما كان، وما سيكون ، وما لم يكن لو كان كيف يكون .

ويعلم الموجود، والمعدوم ، والممكن ، والمستحيل ، ولا يعزب عن علمه مثقالُ ذرة في السموات ولا في الأرض .

وقد علم جميع خلقه قبل أن يخلقهم ، فعلم أرزاقهم ، وآجالهم، وأقوالهم ، وأعمالهم ، وجميع حركاتهم ، وسكناتهم ، وأهل الجنة ، وأهل النار .

وهذه المرتبة ـ وهي العلم السابق ـ اتفق عليها الرسل من أولهم إلى آخرهم ، واتفق عليها جميع الصحابة ، ومن تبعهم من هذه الأمة ، وخالفهم مجوس هذه الأمة ـ القدرية الغلاة ـ (١) .

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة جدًا ، منها قوله تعالى : ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾[سورة الحشر، الآية/ ٢٢] ، وقوله : ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ** ﴾[سورة البقرة، الآية/ ٢٥٥] ، وقوله : ﴿**عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾[سورة سبأ، الآية/ ٣] ، وقوله : ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[سورة الأنعام، الآية/ ١٢٤] ، وقوله : ﴿**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (٧)﴾[سورة القلم، الآية/ ٧]، وقوله : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا**

(١) انظر : شفاء العليل ص ٦١ .

تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩) ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ٥٩] ، وقوله : ﴿ **لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً** ﴾ [سورة التوبة ، الآية / ٤٧] ، وقوله : ﴿ **وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ٢٨] . وقوله : ﴿ **وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ** ﴾ [سورة الأنفال ، الآية / ٢٣] .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : سئل النبي ﷺ عن أبناء المشركين ، فقال : « **الله أعلم بما كانوا عاملين** »(١) ، وقال - عليه الصلاة والسلام - : « **ما منكم من نفس إلا وقد عُلم منزلها من الجنة والنار** » (٢) .

المرتبة الثانية : الكتابة :

وهي الإيمان بأن الله كتب ما سبق به علمه من مقادير الخلائق إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ .

وقد أجمع الصحابة ، والتابعون ، وجميع أهل السنة والحديث على أن كل كائن إلى يوم القيامة - فهو مكتوب في أم الكتاب (٣) ، التي هي اللوح المحفوظ ، والذكر ، والإمام المبين ، والكتاب المبين .

والأدلة على هذه المرتبة كثيرة من الكتاب والسنة ، قال تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)** ﴾ [سورة الحج ، الآية / ٧٠] ، وقوله : ﴿ **وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي**

---

(١) البخاري ، ٧/ ٢١٠ ، وانظر : الفتح ، ١١/ ٤٩٣ .

(٢) أخرجه مسلم ، في القدر ، ٨/ ٤٧ برقم ٢٦٤٧ .

(٣) انظر : شفاء العليل ص ٨٩ .

إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة يس، الآية/ ١٢] ، وقوله : ﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾[سورة التوبة ، الآية/ ٥١] ، وقال ـ سبحانه ـ عن موسى ـ عليه السلام ـ دعاءه : ﴿ **وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً** ﴾[سورة الأعراف، الآية/ ١٥٦]، وقال عن محاجة موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لفرعون : ﴿ **قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىٰ (٥١) قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَّ يَضِلُّ رَبِّي وَلا يَنسَى (٥٢)** ﴾[سورة طه ، الآيتان : ٥١ ـ ٥٢] .

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء** » [١] ، وقال النبي ﷺ : « **ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار ، إلا وقد كتبت شقية أو سعيدة** » [٢] .

المرتبة الثالثة : المشيئة :

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا حركة ، ولا سكون ، ولا هداية، ولا إضلال إلا بمشيئته . ((وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم ، وجميع الكتب المنزلة من عند الله ، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه ، وأدلة العقل والبيان)) [٣] .

---

(١) مسلم ، (٨/ ٥١) ، ومختصر صحيح مسلم ، ٤٨٦ برقم (١٨٤١) .

(٢) رواه البخاري ، في التفسير ، ٦/ ٨٤ ، ومسلم ، في القدر ، ٨/ ٤٦ ـ ٤٧ ، وانظر : مختصر صحيح البخاري ، ص ٤٨٧ ، برقم (١٨٤٤) .

(٣) شفاء العليل ص ٩٢ .

والنصوص الدالة على هذا الأصل كثيرة جدًا من الكتاب والسنة ، منها قوله تعالى : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص، الآية / ٦٨]، وقوله : ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة التكوير، الآية / ٢٩] ، وقوله : ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الكهف، الآيتان / ٢٣-٢٤] ، وقوله : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنعام، الآية / ١١١] ، وقوله : ﴿مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ٣٩] .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يُصرفه حيث يشاء** » (١) .

ومشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة يجتمعان فيما كان ، وما سيكون ويفترقان فيما لم يكن ، ولا هو كائن ، فما شاء الله كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ، وما لم يشأ كونه فإنه لا يكون لعدم مشيئته ، لا لعدم قدرته عليه ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [سورة البقرة، الآية / ٢٥٣] ، فعدم اقتتالهم ليس لعدم قدرة الله ، ولكن لعدم مشيئته ذلك ، ومثله قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [سورة الأنعام، الآية / ٣٥] ، وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا﴾ [سورة الأنعام، الآية/ ١٠٧]، وقوله : ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس، الآية / ٩٩] (٢) .

---

(١) صحيح مسلم ، ٨ / ٥١ برقم (٢٦٥٥) .

(٢) انظر : كتاب الصفدية ، لابن تيمية ، ٢ / ١٠٩ .

المرتبة الرابعة : الخلق :

وهذه المرتبة تقتضي الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها، وصفاتها ، وحركاتها ، وبأن كل من سوى الله مخلوق مُوْجَدٌ من العدم، كائن بعد أن لم يكن . وهذه المرتبة دلت عليها الكتب السماوية ، وأجمع عليها الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ، واتفقت عليها الفطر القويمة ، والعقول السليمة (١) .

والأدلة على هذه المرتبة لا تكاد تحصر ، منها قوله ـ تعالى : ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [سورة الزمر ، الآية / ٦٢] ، وقوله : ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ﴾ [سورة الأنعام، الآية/ ١] ، وقوله : ﴿ **الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً**﴾ [سورة تبارك، الآية / ٢] ، وقوله : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً** ﴾[سورة النساء، الآية / ١] ، وقوله : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** (٣٣) ﴾ [سورة الأنبياء، الآية / ٣٣] ، وقال ـ سبحانه ـ : ﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [سورة فاطر ، الآية / ٣] .

وأخرج البخاري في خلق أفعال العباد عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال النبي ﷺ : « **إن الله يصنع كل صانع وصنعته** » (٢) .

هذه هي مراتب القدر الأربع ، التي لايتم الإيمان بالقدر إلا بها .

---

(١) انظر : شفاء العليل ، ص ١٠٨ .

(٢) أخرجه البخاري ، في خلق أفعال العباد ، والرد على الجهمية وأهل التعطيل ، ص ٢٥ باب أفعال العباد .

المبحث الثالث

خلق أفعال العباد

أفعال العباد داخلة في عموم خلقه ـ تعالى ـ ، ولا يخرجها شيء من عموم قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [سورة الزمر ، الآية / ٦٢] ، وإنما أفردت هنا لوقوع اللبس فيها .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن أفعال العباد كلها من الطاعات ، والمعاصي ـ داخلةٌ في خلق الله ، وقضائه ، وقدره ؛ فقد علم الله ـ عز وجل ـ ما سيخلقه في عباده ، وعلم ما هم فاعلون ، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ ، وخلقهم الله كما شاء ، ومضى فيهم قدره ، فعملوا على النحو الذي شاءه فيهم ، وهدى الله من كتب لهم السعادة ، وأضل من كتب لهم الشقاوة ، وعلم أهل الجنة ويسرهم لعمل أهلها ، وعلم أهل النار ويسرهم لعمل أهلها .

فأفعال العباد هي من الله خلقًا وإيجادًا وتقديرًا ، وهي من العباد فعلاً وكسبًا ، فالله هو الخالق لأفعالهم ، وهم الفاعلون لها ، فنؤمن بجميع نصوص الكتاب والسنة الدالة على شمول خلق الله ، وقدرته لكل شيء من الأعمال والأوصاف ، كما نؤمن بنصوص الكتاب والسنة الدالة على أن العباد هم الفاعلون حقيقة للخير والشر ، وعلى هذا اتفق أهل السنة والجماعة [1] .

---

(١) انظر : المسائل والرسائل ، للإمام أحمد بن حنبل ١ / ١٤٧ ـ ١٥٠ ، والإبانة ، =

والنصوص التي مرت بنا في المرتبة الرابعة من مراتب القدر تدل على ذلك ، وهناك أدلة أصرح في الدلالة على هذه المسألة كقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الصافات ، الآية / ٩٦] .

قال المفسرون : في معنى (ما) في الآية وجهان :

« **أحدهما** : أن تكون بمعنى المصدر ؛ فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم .

والثاني : بمعنى الذي ؛ فيكون المعنى ، والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام .

وفي هذه الآية دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله »[1] .

= للأشعري ، ص ١٠٧ ـ ١٣٠ ، ورسالة الثغر للأشعري ، ص ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٣ ، والاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، لابن قتيبة ، ص ٢١ ـ ٢٣ ، والاعتقاد ، للبيهقي ، ص ٧٣ ، وانظر : لمعة الاعتقاد ، لابن قدامة ، ٢١ ، والنبوات لابن تيمية ص ٤٣٧ ، ودرء تعارض العقل والنقل ، ١ / ٨٥ ـ ٨٦ ، ومنهاج السنة ٢ / ٢٩٨ ، ٣ / ١١٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، وشفاء العليل ، ص ١٠٨ ـ ١٤٠ ، وشرح قصيدة ابن القيم النونية ، لابن عيسى ، ٢ / ١٣٥ ، وانظر : المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ ابن سعدي ، ٣ / ٦٥ ، والقضاء والقدر ، لعمر الأشقر ، ص ٣٧ ، وانظر إلى كتاب القاضي أبي يعلى وكتاب مسائل الإيمان ، دراسة وتحقيقًا ، لسعود بن عبد العزيز الخلف ، ص ٩٨ ـ ٩٩ ، وانظر : العقيدة الواسطية ، بتعليق الشيخ ابن مانع ، ص ٥٠ ـ ٥١ ، ومعارج القبول ، للحكمي ، ٢ / ٢٣٨ ـ ٢٤٠ ، والتعليقات على لمعة الاعتقاد ، للشيخ ابن جبرين ، ص ٦١ ـ ٦٤ ، ولمعة الاعتقاد ، بشرح الشيخ ابن عثيمين ، ص٩٥ .

(١) زاد المسير ، لابن الجوزي ، ٧/ ٧٠ ، وانظر : جامع البيان ، لابن جرير الطبري ، ١٢/ ٧٥ ، وتفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، ٤ / ١٥ .

المبحث الرابع

أقسام التقدير (١)

١ التقدير العام:

وهو تقدير الرب لجميع الكائنات ، بمعنى علمه بها ، وكتابته لها ، ومشيئته ، وخلقه لها .

ويدل على هذا النوع أدلة كثيرة منها ـ قوله تعالى ـ : **﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)﴾** [سورة الحج، الآية / ٧٠] .

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ قال : « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، قال : وعرشه على الماء** » (٢) .

٢ التقدير البشري *:

وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم ،

(١) انظر : أعلام السنة المنشورة ، للشيخ حافظ الحكمي ، من ١٢٩ إلى ١٣٣ ، وتعليق سماحة الشيخ ابن باز على الواسطية من ٧٨ إلى ٨٠ .
(٢) رواه : مسلم ٨ / ٥١ .

* علق سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز على هذا التقدير قائلاً : « التقدير البشري داخل في التقدير العام ؛ ولهذا أعرض عنه أبو العباس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في العقيدة الواسطية ، وأكثر أهل العلم فيما أعلم » أ ـ هـ .

وأشهدهم على أنفسهم بذلك ، والذي قدر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة .

قال الله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ** (١٧٢) ﴾ [سورة الأعراف ، الآية / ١٧٢] .

وعن هشام بن حكيم أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال : أتُبْدأ الأعمال أم قد قُضيَ القضاء ؟ قال رسول الله ﷺ : « **إن الله أخذ ذرية آدم من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم ثم أفاض بهم في كفيه فقال : هؤلاء في الجنة ، وهؤلاء في النار ، فأهل الجنة ميسرون لعمل أهل الجنة ، وأهل النار ميسرون لعمل أهل النار** »(١) .

(٣) التقدير العمري :

وهو تقدير كل ما يجري على العبد في حياته إلى نهاية أجله ، وكتابةُ شقاوته أو سعادته .

وقد دل على ذلك حديث الصادق المصدوق في الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعًا : « **إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك ،**

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة بتحقيق الشيخ الألباني ١ / ٧٣ ، وقال الألباني إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات ، والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ٦٠٤ ، وقال : أخرجه ابن جرير والبزار والطبراني والآجري في الشريعة ، وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات .

فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات ، بكتب رزقه ، وأجله ، وشقي أو سعيد » (١) .

٤ التقدير السنوي :

وذلك في ليلة القدر من كل سنة ، ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الدخان، الآية/ ٤] ، وقوله : ﴿ **تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ** ﴿٤﴾ **سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴿٥﴾ ﴾ [سورة القدر، الآيتان/ ٤ ـ ٥] ، قيل : يكتب فيها ـ أي هذه الليلة ـ ما يحدث في السنة من موت وحياة ، وعز وذل ، ورزق ومطر، حتى الحجاج يُقال : يحج فلان، ويحج فلان ، رُوي هذا عن ابن عمر، وابن عباس ، وكذا الحسن وسعيد بن جبير (٢) .

٥ التقدير اليومي :

ويدل عليه قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ [سورة الرحمن، الآية/ ٢٩] ، قيل في تفسيرها : شأنه أن يُعزَّ ويُذل ، ويرفع ويخفض ، ويُعطي ويمنع ، ويُغني ويُفقر ، ويُضحِكَ ويُبكَي ، ويُميت ويُحيي ، إلى غير ذلك (٣) .

---

(١) رواه البخاري ، (٧/ ٢١٠) ، ومسلم (٨/ ٤٤) برقم (٢٦٤٣) ، وابن ماجة ١/ ٢٩ برقم (٧٦) .

(٢) انظر : زاد المسير لابن الجوزي ٧/ ٣٣٨ ، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ١٤٠ ، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٥٧٢ .

(٣) انظر : زاد المسير ٨/ ١١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٤/ ٢٧٥ ، وفتح القدير ٥/ ١٣٦ .

المبحث الخامس

ما الواجب على العبد في باب القدر ؟

الواجب على العبد في هذا الباب أن يؤمن بقضاء الله ، وقدره ، وأن يؤمن بشرع الله ، وأمره ، ونهيه ، فعليه تصديق الخبر ، وطاعة الأمر (١) .

فإذا أحسن حمد الله ـ تعالى ـ ، وإذا أساء استغفر الله ـ تعالى ـ ، وعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره ؛ فإن « آدم » ـ عليه السلام ـ لما أذنب تاب ، فاجتباه ربه وهداه ، وإبليس أصرَّ واحتجَّ فلعنه الله وأقصاه ، فمن تاب كان آدمياً ، ومن أصر واحتج بالقدر صار إبليسياً ، فالسعداء يتبعون أباهم ، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس (٢) .

« وبالمراعاة الصحيحة لقدر الله ، وشرعه ، يصير الإنسان عابداً ـ حقيقة ـ ، فيكون مع الذين أنعم الله عليهم من أنبياء ، وصديقين ، وشهداء ، وصالحين . وكفى بهذه الصحبة غبطة وسعادة » (٣) .

وبالجملة فعليه أن يؤمن بمراتب القدر الأربع السابقة ، وأنه لا يقع

(١) انظر : جامع الرسائل لابن تيمية ، ٢/ ٣٤١ ، وانظر : درء تعارض العقل والنقل ، ٨/ ٤٠٥ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٨/ ٦٤ ، وطريق الهجرتين ، ١٧٠ .

(٣) التحفة المهدية في شرح الرسالة التدمرية ، للشيخ فالح بن مهدي ، ٢/ ١٤٠ ، وانظر تقريب التدمرية ، للشيخ ابن عثيمين ١١٩ .

شيء إلا وقد علمه الله ، وكتبه ، وشاءه ، وخلقه ، ويؤمن - أيضا - بأن الله أمر بطاعته ، ونهى عن معصيته ، فيفعل الطاعة ، ويترك المعصية ، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله وليستمر على ذلك ، وإن فعل المعصية وترك الطاعة ، فعليه أن يستغفر ويتوب .

ثم إن على العبد - أيضًا - أن يسعى في مصالحه الدنيوية ، ويسلك الطرق الصحيحة الموصلة إليها ، فيضرب في الأرض ، ويمشي في مناكبها ، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله ، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله ، وعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله - عز وجل - وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

« وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلقه وما أمر به حكمة عظيمة - كفاه هذا ، ثم كلما ازداد علمًا وإيمانًا ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله ، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه »(١) .

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر ، بل يكفي هذا الإيمان المجمل ، فأهل السنة والجماعة - كما هو مقرر عندهم - لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر .

وهذا - ولله الحمد - مقتضى الأدلة الشرعية ، والفطرية ، والعقلية ، والحسية ، لا تناقض فيه ، ولا لبس .

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ٩٧ .

الباب الثاني

شبهات وإشكالات حول القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : مسائل تتعلق بالقدر

الفصل الثاني : إشكالات ودفعها

الفصل الأول

مسائل تتعلق بالقدر

وتحته أربعة مباحث :

المبحث الأول : هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ؟

المبحث الثاني : هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ؟

المبحث الثالث : الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات.

المبحث الرابع : الإرادة الربانية

الفصل الأول

مسائل تتعلق بالقدر

المبحث الأول

هل الإيمان بالقدر ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ؟

الإيمان بالقدر - على ما مرَّ - لا ينافى أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ، وأن يكون له قدرة عليها ، وقد دل على ذلك الشرع والواقع .

أما الشرع : فالأدلة على ذلك كثيرة جدًا منها قوله - تعالى : ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴾ [سورة النبأ، الآية / ٣٩] ، وقوله : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [سورة البقرة ، الآية / ٢٢٣] ، وقوله : ﴿ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ [سورة البقرة ، الآية / ٢٨٦] ، وقوله : ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [سورة آل عمران ، الآية / ١٣٣] ، وقال : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف، الآية / ٢٩] .

أما الواقع : فكل إنسان يعلم أن له مشيئة ، وقدرة يفعل بهما ويترك ، ويفرق بين ما يقع بإرادته ، كالمشي ، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش (١) .

(١) انظر : منهاج السنة ، لابن تيمية ، ٣/ ١٠٩ - ١١٢ ، والتبيان في أقسام القرآن ، لابن=

لكن مشيئته ، وقدرته واقعتان بمشيئة الله ـ تعالى ـ وقدرته ، لقوله ـ تعالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩) ﴾ [سورة التكوير ، الآيتان / ٢٨ ـ ٢٩] .

وتوضيح ذلك كما قال العلامة ابن سعدي ـ رحمه الله تعالى ـ : «أن العبد إذا صلى ، وصام ، وعمل الخير ، أو عمل شيئًا من المعاصي ـ كان هو الفاعلَ لذلك العمل الصالح ، والعمل السيء ، وفعله المذكور ـ بلا ريب ـ واقع باختياره ، وهو يحس ـ ضرورة ـ أنه غير مجبور على الفعل أو الترك ، وأنه لو شاء لم يفعل ، وكما أن هذا هو الواقع فهو الذي نص الله عليه في كتابه ، ونص عليه رسوله ﷺ حيث أضاف الأعمال صالحها ، وسيِّئها إلى العباد ، ، وأخبر أنهم هم الفاعلون لها ، وأنهم محمودون عليها إذا كانت صالحة ، ومثابون عليها ، ومذمومون إذا كانت سيئة ، ومعاقبون عليها .

فقد تبين بهذا واتضح أنها واقعة منهم وباختيارهم ، وأنهم إن شاءوا فعلوا ، وإن شاءوا تركوا ، وأن هذا الأمر ثابت عقلاً وحسًا ، وشرعًا ، ومشاهدةً .

ومع ذلك إذا أردت أن تعرف أنها ـ وإن كانت كذلك ـ واقعة منهم ، كيف تكون داخلة في القدر ؟ وكيف تشملها المشيئة ؟ فيقال : بأي شيء وقعت هذه الأعمال الصادرة من العباد خيرُها وشرُّها ؟ فيقال : بقدرتهم وإرادتهم .

= القيم ص ٤٥ ، و ١٦٦ ـ ١٦٩ ، وانظر : رسائل في العقيدة ، لابن عثيمين ٣٧ ـ ٣٨ ، والقضاء والقدر ، لابن عثيمين ١٥ ـ ١٧ .

والذي خلق ما تقوم به الأفعال هو الذي خلق الأفعال ، فهذا الذي يحل الإشكال ، ويتمكن العبد أن يعقل بقلبه اجتماع القدر ، والقضاء، والاختيار .

ومع ذلك فهو ـ تعالى ـ أمد المؤمنين بأسباب ، وألطاف ، وإعانات متنوعة ، وصرف عنهم الموانع ، كما قال ﷺ : « **وأما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة**»[١] .

وكذلك خذل الفاسقين ، ووكلهم إلى أنفسهم ؛ لأنهم لم يؤمنوا به ولم يتوكلوا عليه فولأهم ماتولوه لأنفسهم »[٢] .

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر ، برقم (٢٦٤٧) .

(٢) التنبيهات اللطيفة ص ٨٢ ـ ٨٣ ، وانظر : لمعة الاعتقاد ، لابن قدامة ، ص ٢٢ . وانظر : شرح الواسطية ، للهراس ، ص ٢٢٨ ، وانظر : صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ص ٢٣٩ ـ ٢٤٣ .

المبحث الثاني

هل فعل الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ؟

فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر ، بل إن مباشرتها من تمام الإيمان بالقضاء والقدر .

« ولهذا يجب على العبد ـ مع الإيمان بالقدر ـ الاجتهادُ في العمل ، والأخذ بأسباب النجاة ، والالتجاء إلى الله ـ تعالى ـ بأن ييسر له أسباب السعادة ، وأن يعينه عليها »[1] .

ونصوص الكتاب والسنة حافلة بالأمر باتخاذ الأسباب المشروعة في مختلف شؤون الحياة ؛ فقد أمرت بالعمل ، والسعي في طلب الرزق ، واتخاذ العدد لمواجهة الأعداء ، والتزود للأسفار ، وغير ذلك .

قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة الجمعة ، الآية / ١٠] ، وقال : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [سورة الملك ، الآية / ١٥] ، وقال : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [سورة الأنفال ، الآية / ٦٠] ، وأمر المسافرين للحج بالتزود ، فقال : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ [سورة البقرة ، الآية / ١٩٧] ، وأمر بالدعاء والاستعانة ، فقال : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [سورة

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، للشيخ عبد الله الغنيمان ٢ / ٦٢٩ .

غافر ، الآية/ ٦٠] ، وقال : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ ﴾ [سورة البقرة، الآية/ ٤٥] .

وأمر باتخاذ الأسباب الشرعية التي تؤدي إلى رضوانه ، وجنته ، كالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، والحج .

وحياةُ الرسول ﷺ وأصحابه ، بل حياة المسلمين جميعاً ، والسائرين على نهجهم ـ كلها شاهدة على أخذهم بالأسباب ، والجد ، والاجتهاد (١) .

قال الشيخ ابن سعدي : « ويظن كثير من الناس أن إثبات الأسباب ينافي الإيمان بالقضاء والقدر ، وهذا غلط فاحش جداً ، وهو عائد على القدر بالإبطال ، وهو إبطال ـ أيضاً ـ للحكمة .

وكأن هذا الظانَّ يقول ويعتقد أن الإيمان بالقدر هو اعتقاد وجود الأشياء بدون أسبابها الشرعية والقدرية ، وهذا نفي للوجود لها ؛ فإنها ـ كما ذكرنا ـ أن الله ربط الكون بعضه ببعض ، ونظم بعضه ببعض ، وأوجد بعضه ببعض ، فهل تقول أيها الظان جهلاً أن الأولى إيجاد البناء من دون بنيان ؟ وإيجاد الحبوب ، والثمار ، والزروع من دون حرث وسقي ، وإيجاد الأولاد والنسل من دون نكاح ؟ وإدخال الجنة من دون إيمان وعمل صالح ؟ وإدخال النار من دون كفر ومعصية ؟! بهذا الظن أبطلت القدر ، وأبطلت معه الحكمة ، أما علمت أن الله بحكمته ، وكمال قدرته جعل للمسببات أسباباً ؟ وللمقاصد طرقاً ووسائل تحصل بها ؟ وقرر هذا في الفطر ، والعقول ، كما قرره في الشرع ، وكما نفذه

(١) انظر : القضاء والقدر ، للأشقر ، ٨٣ ـ ٨٤ .

في الواقع ، فإنه أعطى كل شيء خلقه اللائق به ، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له من أصناف السعي ، والحركة ، والتصرفات المتنوعة ، وبنى أمور الدنيا والآخرة على ذلك النظام البديع العجيب الذي شهد ـ أولاً ـ لله بكمال القدرة ، وكمال الحكمة ، وأشهد العباد ـ ثانياً ـ أنه بهذا التنظيم ، والتيسير ، والتصريف وجه العاملين إلى أعمالهم ، ونشطهم على أشغالهم .

فطالب الآخرة إذا علم أنها لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح وترك ضدها ـ جدَّ واجتهد في تحقيق الإيمان ، وكثرت تفاصيله النافعة ، واجتهد في كل عمل صالح يوصله إلى الآخرة ، واجتنب في مقابلة ذلك الكفر ، والعصيان ، وبادر للتوبة النصوح من كل ما وقع منه من ذلك .

وصاحب الحرث إذا علم أنه لا ينال إلا بحرث وسقي وملاحظة تامة ـ جد واجتهد في كل وسيلة تنمي حراثته ، وتكملها ، وتدفع عنها الآفات .

وصاحب الصناعة إذا علم أن المصنوعات على اختلاف أنواعها ، ومنافعها ، لا تحصل إلا بتعلم الصناعة ، وإتقانها ، ثم العمل بها ـ جد في ذلك .

ومن أراد حصول الأولاد ، أو تنمية مواشيه ـ عمل وسعى في ذلك وهكذا جميع الأمور »[1] .

---

(١) الرياض الناضرة ١٢٥ ـ ١٢٦ ، وانظر : شفاء العليل ص ٥٠ ـ ٥٣ والشيخ عبد الرحمن ابن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة د : عبد الرزاق العباد من ٨٦ ـ ٨٩ ، وانظر : =

وقال شيخ الإسلام : « وإذا ترك العبد ما أمر به متكلاً على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدور الذي يصير به شقيًا ، وكان قوله ذلك بمنزلة من يقول : أنا لا آكل ، ولا أشرب ؛ فإن كان الله قضى بالشبع والري ـ حصل ، وإلا لم يحصل ، أو يقول : لا أجامع امرأتي فإن كان الله قضى لي بولد ـ فإنه يكون .

وكذلك من غلط فترك الدعاء ، أو ترك الاستعانة ، والتوكل ظانًا أن ذلك من مقامات الخاصة ، ناظرًا إلى القدر ، فكل هؤلاء جاهلون ضالون ، ويشهد لهذا ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي ﷺ أنه قال : « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان** »(١) .

فأمره بالحرص على ما ينفعه ، والاستعانة بالله ، ونهاه عن العجز الذي هو الاتكال على القدر ، ثم أمره إذا أصابه شيء ألا ييأس على ما فاته ، بل ينظر إلى القدر ، ويسلم الأمر لله ، فإنه هنا لا يقدر على غير ذلك ، كما قال بعض العقلاء : الأمور أمران : أمر فيه حيلة ، وأمر لا حيلة فيه ، فما فيه حيلة لا يعجز عنه ، وما لا حيلة فيه لا يجزع منه »(٢) .

= تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، لابن سعدي ، ص ١٢ ، والقضاء والقدر لأبي الوفاء محمد درويش ص ٥٣ ـ ٦١ ، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص ١١٨ ـ ١٢٤ .

(١) رواه مسلم ، ٨ / ٥٦ برقم (٢٦٦٤) .

(٢) مجموع الفتاوى ٨ / ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ، وانظر إلى : السنن الإلهية ، د . عبد الكريم زيدان ، ص ٢١ ـ ٣٣ .

ومما يُقال لهؤلاء الذين يتركون العمل اعتماداً على القدر . أن الذي قال : «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**» (١) ، والذي قال : «**ما منكم من أحد ، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة أو النار**» (٢) هو الذي قال : «**اعملوا فكل ميسر لما خلق له**» (٣) ، ﴿ **أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ** ﴾ [سورة البقرة، الآية / ٨٥] ؟!!

---

(١) رواه مسلم ٨ / ٥١ .

(٢) رواه مسلم ، ٨ / ٤٧ .

(٣) رواه مسلم ، ٨ / ٤٧ برقم (٢٦٤٧) .

المبحث الثالث

الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الواجبات

الإيمان بالقدر لا يمنح العاصي حجة على ما ترك من الواجبات ، أو فعل من المعاصي ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ : «وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين ، وسائر أهل الملل ، وسائر العقلاء ؛ فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس ، وأخذ الأموال ، وسائر أنواع الفساد في الأرض ، ويحتج بالقدر .

ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه ، بل يتناقض ، وتناقض القول يدل على فساده ، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بداية العقول » (١) .

وبما أن هذا الأمر مما يعم به البلاء ـ فهذا إيراد لبعض الأدلة الشرعية والعقلية ، والواقعية التي يتضح من خلالها بطلان الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي أو ترك الطاعات (٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ١٧٩ ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٥٨ـ٨٥٩ .

(٢) انظر : منهاج السنة النبوية ٣/ ٦٥ـ٧٨ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٨/ ٢٦٢ـ٢٦٨ ، ورسائل في العقيدة ٣٨ـ٣٩ ، وانظر : لمعة الاعتقاد بشرح الشيخ محمد ابن عثيمين ٩٣ ـ٩٥ .

(١) قال الله ـ تعالى : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ (١٤٨) ﴾[سورة الأنعام ، الآية / ١٤٨] ، فهؤلاء المشركون احتجوا بالقدر على شركهم ، ولو كان احتجاجهم مقبولاً صحيحًا ما أذاقهم الله بأسه .

(٢) قال ـ تعالى : ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾[سورة النساء ، الآية / ١٦٥] .

فلو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغًا لما كان هناك داع لإرسال الرسل .

(٣) أن الله أمر العبد ونهاه ، ولم يكلِّفه إلا ما يستطيع ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾[سورة التغابن، الآية ١٦] ، وقال : ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾[سورة البقرة ، الآية / ٢٨٦] .

ولو كان العبد مجبراً على الفعل لكان مكلَّفاً بما لا يستطيع الخلاص منه ، وهذا باطل ، ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل ، أو نسيان ، أو إكراه ـ فلا إثم عليه ؛ لأنه معذور .

(٤) أن القدر سرٌّ مكتوم ، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه ، وإرادة العبد لما يفعله سابقة لفعله ، فتكون إرادته للفعل غير مبنية على علم بقدر الله ، فادعاؤه أن الله قدَّر عليه كذا وكذا ادِّعاءٌ باطل ؛ لأنه ادعاءٌ لعلم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فحجته إذًا داحضة ؛ إذ

لاحجة للمرء فيما لا يعلمه .

(٥) أننا لو سلمنا للمحتج بالقدر على الذنوب لعطّلنا الشرائع .

(٦) لو كان الاحتجاج بالقدر ـ على هذا النحو ـ حجةً لقُبل من إبليس الذي قال : ﴿ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الأعراف، الآية / ١٦] .

(٧) ولو كان حجة هؤلاء مقبولة أيضا لتساوى فرعون عدو الله ، مع موسى كليم الله ـ عليه السلام ـ .

(٨) الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعائب تصحيح لمذهب الكفار، وهذ لازم لهذا المحتج ، لا ينفكّ عنه .

(٩) ولو كان حجة لا حتجَّ به أهل النار ، إذا عاينوها ، وظنوا أنهم مواقعوها ، كذلك إذا دخلوها ، وبدأ توبيخهم وتقريعهم ، هل يحتجون بالقدر على معاصيهم وكفرهم ؟ الجواب لا ؛ بل إنهم يقولون كما قال الله ـ عز وجل ـ عنهم : ﴿ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية / ٤٤] ، ويقولون : ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ﴾ [سورة المؤمنون ، الآية / ١٠٦] ، وقالوا : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ [سورة الملك ، الآية / ١٠] ، وقالوا : ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ [سورة المدثر ، الآية / ٤٣] . إلى غير ذلك مما يقولون . ولو كان الاحتجاج بالقدر على المعاصي سائغًا لاحتجوا به ؛ فهم بأمس الحاجة إلى ما ينقذهم من نار جهنم .

(١٠) ومما يردّ هذا القول ـ أيضًا ـ أننا نرى الإنسان يحرص على ما

يلائمه في أمور دنياه حتى يدركه ، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه ثم يحتج على عدوله بالقدر .

فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتج بالقدر؟! .

وإليك مثالاً يوضح ذلك : لو أراد إنسان السفر إلى بلد ، وهذا البلد له طريقان ، أحدهما آمن مطمئن ، والآخر كله فوضى واضطراب ، وقتل ، وسلب ، فأيهما سيسلك ؟ لا شك أنه سيسلك الطريق الأول ، فلماذا لا يسلك في أمر الآخرة طريق الجنة دون طريق النار ؟ .

(١١) ومما يمكن أن يرد به على هذا المحتج ـ بناء على مذهبه ـ أن يقال له : لا تتزوج ؛ فإن كان الله قد قضى لك بولد فسيأتيك ، وإلا فلن ، ولا تأكل ولا تشرب ؛ فإن قدَّر الله لك شبعًا وريًا فسيكون وإلا فلن ، وإذا هاجمك سبع ضار فلا تهرب ولا تفر ؛ فإن قدَّر الله لك النجاة فستنجو ، وإن لم يقدرها لك فلن ينفعك الفرار ، وإذا مرضت فلا تتداوى ؛ فإن قدر الله لك شفاءً شفيت وإلا فلن ينفعك الدواء .

فهل سيوافقنا على هذا القول أم لا ؟ إن وافقنا علمنا فساد عقله ، وإن خالفنا علمنا فساد قوله ، وبطلان حجته .

(١٢) المحتج بالقدر على المعاصي شبَّه نفسه بالمجانين ، والصبيان ، فهم غير مكلفين ، ولا مؤاخذين ، ولو عومل معاملتهم في أمور الدنيا لما رضي .

(١٣) لو قبلنا هذا الاحتجاج الباطل لما كان هناك حاجة للاستغفار، والتوبة ، والدعاء ، والجهاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(١٤) لو كان القدر حجَّة على المعائب والذنوب لتعطلت مصالح الناس ، ولعمَّت الفوضى ، ولما كان هناك داع للحدود ، والتعزيرات ، والجزاءات ؛ لأن المسيء سيحتج بالقدر ، ولما احتجنا لوضع عقوبات للظلمة ، وقطَّاع الطريق ، ولا إلى فتح المحاكم ، ونصب القضاة ؛ بحجة أن كل ما وقع إنما وقع بقدر الله ، وهذا لا يقول به عاقل .

(١٥) أن هذا المحتج بالقدر الذي يقول : لا نؤاخذ ؛ لأن الله كتب ذلك علينا ، فكيف نؤاخذ بما كُتب علينا ؟

يُقال له : إننا لا نؤاخذ على الكتابة السابقة ، إنما نؤاخذ بما فعلناه، وكسبناه ؛ فلسنا مأمورين بما قدره الله لنا ، أو كتبه علينا ، وإنما نحن مأمورون بتنفيذ ما يأمرنا به ؛ فهناك فرق بين ما أريد بنا ، وما أريد منا ، فما أراده الله بنا طواه عنا ، وما أراده منه أمرنا بالقيام به .

ومما تجدر الإشارة إليه ـ أن احتجاج كثير من هؤلاء ليس ناتجًا عن قناعة وإيمان ، وإنما هو ناتج عن نوع هوى ومعاندة ؛ ولهذا قال بعض العلماء فيمن هذا شأنه : «أنت عند الطاعة قدري ، وعند المعصية جبري، أي مذهب وافق هواك تمذهبت به »[(١)] .

---

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ١٠٧ .

يعني أنه إذا فعل الطاعة نسب ذلك إلى نفسه ، وأنكر أن يكون الله قدر ذلك له ، وإذا فعل المعصية احتج بالقدر .

وبالجملة فإن الاحتجاج بالقدر على فعل المعاصي ، أو ترك الطاعات احتجاج باطل في الشرع ، والعقل ، والواقع .

قال شيخ الإسلام : « هؤلاء القوم إذا أصروا على هذا الاعتقاد كانوا أكفر من اليهود والنصارى »[١] .

متى يسوغ الاحتجاج بالقدر ؟

يسوغ الاحتجاج بالقدر عند المصائب التي تحل بالإنسان كالفقر ، والمرض ، وفقد القريب ، وتلف الزرع ، وخسارة المال ، وقتل الخطأ ، ونحو ذلك ؛ فهذا من تمام الرضا بالله ربًا ، فالاحتجاج إنما يكون على المصائب ، لا المعائب ، « فالسعيد يستغفر من المعائب ويصبر على المصائب كما قال ـ تعالى ـ : ﴿ **فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ** ﴾ [سورة غافر، الآية/ ٥٥] . والشقي يجزع عند المصائب ، ويحتج بالقدر على المعائب »[٢] .

ويوضح ذلك المثال الآتي : لو أن رجلاً قتل آخر عن طريق الخطأ ، ثم لامه من لامه ، واحتج القاتل بالقدر ـ لكان احتجاجه مقبولاً ، ولا يمنع ذلك من أن يؤاخذ ، ولو قتل رجلٌ رجلاً عن طريق العمد ثم قُرِّع القاتل ووُبِّخَ على ذلك ، ثم احتج بالقدر ـ لم يكن الاحتجاج منه مقبولاً ؛ ولهذا حجَّ آدم موسى ـ عليهما السلام ـ كما في قوله ـ عليه

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٦٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٤٥٤ ، وانظر : اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٨٥٧ـ٨٥٨ .

الصلاة السلام ـ في محاجتهما ـ : « **احتج آدم وموسى ، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة ؟ فقال له آدم : أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ، ثم تلومني على أمر قد قدّر عليّ قبل أن أخلق ؟ فحجّ آدم موسى** »[(١)] .

فآدم ـ عليه السلام ـ لم يحتج بالقدر على الذنب كما يظن ذلك بعض الطوائف ، وموسى ـ عليه السلام ـ لم يلُم آدم على الذنب ؛ لأنه يعلم أن آدم استغفر ربه وتاب ، فاجتباه ربه ، وتاب عليه ، وهداه ، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، ولو أن موسى لام آدم على الذنب لأجابه : إنني أذنبت فتبت ، فتاب الله عليَّ ، ولقال له : أنت يا موسى ـ أيضا ـ قتلت نفساً ، وألقيت الألواح إلى غير ذلك ، إنما احتج موسى بالمصيبة فحجّه آدم بالقدر[(٢)] .

« فما قدّر من المصائب يجب الاستسلام له فإنه من تمام الرضا بالله رباً ، أما الذنوب فليس لأحد أن يُذنب ، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب ، فيتوب من المعائب ، ويصبر على المصائب »[(٣)] .

وممن يسوغ له الاحتجاج بالقدر ـ التائبُ من الذنب ، فلو لامه

---

(١) أخرجه مسلم ، في كتاب القدر ٨ / ٥٠ برقم (٢٦٥٢) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٨ / ١٧٨ ، ومنهاج السنة ٣ / ٧٨ ـ ٨١ ، والاحتجاج بالقدر لابن تيمية ص ١٨ ـ ٢٢ ، والفرقان لشيخ الإسلام ص ١٠٣ ـ ١٠٥ ، والآداب الشرعية لابن مفلح ١ / ٢٥٨ ـ ٢٦٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير ١ / ٨٣ ـ ٨٧ .

(٣) شرح الطحاوية ص ١٤٧ ، وانظر : الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٥ / ١٦٣ ، والتدمرية ص ٢٣١ ، وانظر : المسائل التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية ص ٣٤ .

أحد على ذنب تاب منه لساغ له أن يحتج بالقدر .

فلو قيل لأحد التائبين : لم فعلت كذا وكذا ؟ فقال : هذا بقضاء الله وقدره ، وأنا تبت واستغفرت ، لقُبل منه ذلك الاحتجاج [١] .

ثم إنه لا يسوغ لأحد أن يلوم التائب من الذنب ؛ فالعبرة بكمال النهاية، لا بنقص البداية .

(١) انظر : شفاءالعليل ص ٣٥ ، وانظر : القضاء والقدر ، لأسعد محمد الصاغرجي ص٢٤ ، وتقريب التدمرية لابن عثيمين ص ١١٥ .

المبحث الرابع

الإرادة الربانية

تنقسم الإرادة الربانية إلى قسمين :

(١) **إرادة كونية قدرية** : وهي مرادفة للمشيئة ، وهذه الإرادة لا يخرج عن مرادها شيء ؛ فالكافر والمسلم تحت هذه الإرادة الكونية سواء ، فالطاعات ، والمعاصي ، كلها بمشيئة الرب ، وإرادته ، ومن أمثلتها قوله ـ تعالى : ﴿ **وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ** ﴾ [سورة الرعد، الآية / ١١] . وقوله : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ** ﴾ [سورة الأنعام، الآية / ١٢٥] .

(٢) **إرادة شرعية دينية** : وتتضمن محبة الرب ، ورضاه ، ومن أمثلتها قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾ [سورة البقرة، الآية / ١٨٥] . وقوله : ﴿ **وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ** ﴾ [سورة النساء، الآية / ٢٧] . وقوله : ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ** ﴾ [سورة المائدة، الآية / ٦] [١] .

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٣ / ١٥٦ ـ ١٥٧ ، والاستقامة ١ / ٤٣٣ ، وانظر : تعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص ٤١ .

الفرق بين الإرادتين (١) :

من الفروق بين الإرادتين ما يلي :

(١) ـ الإرادة الكونية قد يحبها الله ويرضاها ، وقد لا يحبها ولا يرضاها ، أما الشرعية فلا بد أن يحبها ويرضاها ؛ فالكونية مرادفة للمشيئة ، والشرعية مرادفة للمحبة .

(٢) ـ الإرادة الكونية مقصودة لغيرها كخلق إبليس مثلاً ، وسائر الشرور؛ لتحصل بسببها محابّ كثيرة ، كالتوبة ، والمجاهدة ، والاستغفار .

أما الشرعية فمقصودة لذاتها ؛ فالله أراد الطاعة وأحبها ، وشرعها ، ورضيها لذاتها .

(٣) ـ الإرادة الكونية لا بد من وقوعها ؛ فالله إذا أراد شيئًا وقع ولا بد ، كإحياء أحدٍ أو إماتته ، أو غير ذلك ، أما الشرعية كالإسلام ـ مثلاً ـ ، فلا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع ، ولو كان لا بد من وقوعها لأصبح الناس كلهم مسلمين .

(٤) ـ الإرادة الكونية متعلقة بربوبية الله وخلقه ، أما الشرعية

---

(١) انظر : منهاج السنة النبوية ٣/ ١٨٠ ـ ١٨٣ ، ٥/ ٣٦٠ و ٤١٣ و ٤١٤ ، ٧/ ٧٢ ، ٧٣ ، وانظر : شفاء العليل ص ٥٥٧ ، وتنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ، للشيخ سليمان بن سحمان ص ٦١-٦٢ ، وتعليق الشيخ ابن باز على الواسطية ص ٤١ ، وشرح الواسطية للهراس ص ١٠٠ ، وشرح الواسطية للشيخ صالح الفوزان ص ٤٢ ـ ٤٣ ، والقضاء والقدر للأشقر ص ١٠٦ ، والتعليقات على لمعة الاعتقاد للشيخ عبد الله بن جبرين ص ٦٠ ـ ٦١ .

فمتعلقة بألوهيته وشرعه .

(٥) - الإرادتان تجتمعان في حق المطيع ، فالذي أدَّى الصلاة - مثلا - جمع بينهما ؛ وذلك لأن الصلاة محبوبة لله ، وقد أمر بها ، ورضيها ، وأحبها ، فهي شرعية من هذا الوجه ، وكونها وقعت دلّ على أن الله أرادها كونًا فهي كونية من هذا الوجه ، فمن هنا اجتمعت الإرادتان في حق المطيع . وتنفرد الكونية في مثل كفر الكافر ، ومعصية العاصي ، فكونها وقعت فهذا يدلّ على أن الله شاءها ؛ لأنه لا يقع شيءٌ إلا بمشيئته ، وكونها غير محبوبة ، ولا مرضية لله دليل على أنها كونية لا شرعية ، وتنفرد الشرعية في مثل إيمان الكافر ، وطاعة العاصي ، فكونها محبوبة لله فهي شرعية ، وكونها لم تقع - مع أمر الله بها ومحبته لها ورضاه - هذا دليل على أنها - أيضا - شرعية فقط ؛ إذ هي مرادة محبوبة لم تقع .

(٦) - الإرادة الكونية أعمّ من جهة تعلّقها بما لا يحبه الله ولا يرضاه ، من الكفر والمعاصي ، وأخص من جهة أنها لا تتعلق بمثل إيمان الكافر ، وطاعة الفاسق ، والإرادة الشرعية أعم من جهة تعلقها بكل مأمور به ، واقعاً كان أو غير واقع ، وأخص من جهة أن الواقع بالإرادة الكونية قد يكون غير مأمور به . هذه فوارق بين الإرادتين ، فمن عرف الفرق بينهما سلم من شُبهات كثيرة ، زلَّت بها أقدام ، وضلَّت بها أفهام ؛ فمن نظر إلى الأعمال الصادرة عن العباد بهاتين العينين كان بصيراً ، ومن نظر إلى الشرع دون القدر أو العكس كان أعور (١) .

(١) انظر : الاستقامة لابن تيمية ٢ / ٧٨ .

نماذج لأمور شرعية وكونية [١] :

كما أن الإرادة منها ما هو كوني قدري ، ومنها ما هو شرعي ديني - فكذلك الكتابة ، والأمر ، والإذن ، والجعل ، والكلمات ، والبعث ، والإرسال ، والتحريم ، والإيتاء ، والكره ، ونحوها ، كل هذه الأمور منها ما هو شرعي ومنها ما هو كوني .

فمن أمثلة الكتابة الكونية قوله - تعالى - : ﴿ **كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي** ﴾ [سورة المجادلة ، الآية/ ٢١] . ومن أمثلة الكتابة الشرعية قوله : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ** ﴾ [سورة البقرة، الآية/ ١٨٣] ، والأمر الكوني قوله : ﴿ **وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ (٥٠)** ﴾ [سورة القمر ، الآية/ ٥٠] ، والشرعي قوله : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ** ﴾ [سورة النحل ، الآية/ ٩٠]، والإذن الكوني قوله : ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾ [سورة البقرة، الآية/ ١٠٢]، والشرعي : ﴿ **آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ** ﴾ [سورة يونس، الآية/ ٥٩] ، وقوله : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ** ﴾ [سورة الشورى ، الآية/ ٢١] ، والجعل الكوني قوله : ﴿ **كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية/ ١٢٥]، والشرعي قوله: ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلا سَائِبَةٍ** ﴾ [سورة المائدة، الآية/ ١٠٣] ، أما قوله : ﴿ **جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ** ﴾ [سورة المائدة ، الآية/ ٩٧] ، فهذا يتناول الأمرين ، فإن الله جعلها كذلك بقدره وبشرعه . وكذلك الكلمات منها ما هو كوني كقوله : ﴿ **كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (٣٣)** ﴾ [سورة يونس،

---

(١) انظر : شفاء العليل ص ٥٥٨ - ٥٦٧ .

الآية / ٣٣] . ومنها الشرعي كقوله : ﴿ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة، الآية / ٦] . واجتمع النوعان في قوله تعالى: ﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا ﴾ [سورة التحريم، الآية / ١٢] ، وكذلك البعث منه الكوني كقوله : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا ﴾ [سورة الإسراء ، الآية / ٥] ، والشرعي كقوله : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ﴾ [سورة البقرة، الآية / ٢١٣] . وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ ﴾ [سورة الجمعة، الآية / ٢] . وكذلك الإرسال منه الكوني كقوله: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ ﴾ [سورة الأعراف ، الآية / ٥٧] ، ومنه الديني كقوله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ ﴾ [سورة الصف، الآية / ٩، والتحريم الكوني كقوله: ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ ﴾ [سورة القصص، الآية / ١٢] ، والشرعي: ﴿ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ﴾ [سورة المائدة، الآية / ٩٦] . والإيتاء الكوني كقوله : ﴿ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة، الآية / ٢٤٧] . والديني كقوله : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ ﴾ [سورة البقرة ، الآية / ٩٣] . وقوله: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة البقرة، الآية / ٢٦٩] . يشمل النوعين ، فإنه يؤتيهما أمرًا ودينًا وتوفيقًا وإلهامًا .

والكره ـ كذلك ـ منه ما هو كوني كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ ﴾ [سورة التوبة، الآية / ٤٦] . ومنه ما هو شرعي كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة الإسراء، الآية / ٣٨] .

والفروق بين هذه الأمور ـ من جهة أن منها ما هو شرعي ديني ، ومنها ما هو كوني قدري ـ كالفروق بين الإرادتين الكونية القدرية ، والشرعية الدينية .

الفصل الثاني

إشكالات ودفعها

ونحته ستة مباحث :

المبحث الأول : الإشكال الأول : هل ينسب الشر إلى الله ـ تعالى ـ ؟

المبحث الثاني : الإشكال الثاني : كيف يريد الله أمراً ولا يحبه ؟

المبحث الثالث : الإشكال الثالث : هل يجب الرضا بكل ما قدره الله ؟

المبحث الرابع : الإشكال الرابع : مسألة القدر المثبت والقدر المعلق ، أو المحو والإثبات ، زيادة العمر ونقصانه .

المبحث الخامس : الإشكال الخامس : هل الإنسان مسيَّر أم مخيَّر ؟

المبحث السادس : الإشكال السادس : كيف نوفق بين استئثار الله بعلم ما في الأرحام ، وبين علم الأطباء بذكورة الجنين في الرحم من أنوثته ؟ ؟

المبحث الأول

الإشكال الأول
هل ينسب الشر إلى الله ـ تعالى ـ ؟

إذا سأل سائل فقال : نحن نؤمن بالقدر خيره وشره من الله ، فهل تصح نسبة الشر إلى الله ـ تعالى ـ ؟ وهل يقع في أفعاله شر ؟

فالجواب : أن يُقال : إن الله ـ سبحانه وتعالى ـ منزَّه عن الشر ، ولا يفعل إلا الخير ، والقدر من حيث نسبتُه إلى الله لا شر فيه بوجه من الوجوه؛ فإنه علم الله ، وكتابته ، ومشيئته ، وخلقُه ، وذلك خير محض ، وكمال من كل وجه ، فالشر ليس إلى الرب بوجه من الوجوه، لا في ذاته ، ولا في أسمائه ولا صفاته ، ولا في أفعاله ، ولو فعل الشر ـ سبحانه ـ لاشتُق له منه اسم ، ولم تكن أسماؤه كلها حسنى، ولعاد إليه من الشر حكمٌ ـ تعالى وتقدس ـ وإنما الشر يدخل في مخلوقاته ، ومفعولاته ، فالشر في المقضي ، لا في القضاء ، ويكون شرًا بالنسبة إلى محل ، وخيرًا بالنسبة إلى محل آخر، وقد يكون خيرًا بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه ، كما هو شر من وجه آخر ، بل هو الغالب ، وهذا كالقصاص ، وإقامة الحدود ، وقتل الكفار ، فإنه شر بالنسبة إليهم لا من كل وجه ، بل من وجه دون وجه، وخير بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر ، والنكال ، ودفع الناس بعضهم ببعض .

وكذلك الأمراض وإن كانت شروراً من وجه ـ فهي خير من وجوه عديدة .

والحاصل أن الشر لا ينسب إلى الله ـ تعالى ـ ؛ ولهذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يثني على ربه بتنزيهه عن الشر بدعاء الاستفتاح في قوله : « **لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والشر ليس إليك ، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت**»[١] .

قال ابن القيم تعليقًا على هذا الحديث : « فتبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه ، بل كل ما نسب إليه فهو خير ، والشر إنما صار شرًا لانقطاع نسبته وإضافته إليه ، فلو أضيف إليه لم يكن شرًّا ، وهو ـ سبحانه ـ خالق الخير والشر ، فالشر في بعض مخلوقاته ، لا في خلقه وفعله . وخلقُهُ ، وفعلُه ، وقضاؤه ، وقدره خيرٌ كله ، ولهذا تنزَّه ـ سبحانه ـ عن الظلم ، الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه ، فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة بها ، وذلك خير كله ، والشر وضع الشيء في غير محله ، فإذا وضع في محله لم يكن شرًا ، فعُلم أن الشر ليس إليه ، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك»[٢] .

وقال ـ أيضًا ـ : « فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر ، والسوء ، والظلم إليه ، مع أنه ـ سبحانه ـ الخالق لكل شيء ؛ فهو الخالق للعباد ،

---

(١) مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ١ / ٥٣٥ ، برقم (٧٧١) .

(٢) انظر : شفاء العليل ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ ، وانظر : منهاج السنة ٣ / ١٤٢ ـ ١٤٤ ، والتفسير القيم ص ٥٥٠ ـ ٥٥٦ ، ومدارج السالكين ١ / ٤٠٩ ـ ٤١٢ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٢١٤ ـ ٢١٥ ، والروضة الندية لزيد بن فياض ص ٣٥٤ ـ ٣٦٠ ، والحكمة والتعليل في أفعال الله ، د . محمد بن ربيع المدخلي ص ١٩٩ ـ ٢٠٤ .

وأفعالهم، وحركاتهم ، وأقوالهم ، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء ، والرب ـ سبحانه ـ هو الذي جعله فاعلاً لذلك ، وهذا الجعل منه عدلٌ وحكمةٌ ، وصوابٌ ، فجعلُه فاعلاً خيرٌ ، والمفعول شرٌّ قبيح ؛ فهو ـ سبحانه ـ بهذا الجعل قد وضع الشيء في موضعه ؛ لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها ، فهو خير وحكمة ، ومصلحة ، وإن كان وقوعه من العبد عيبًا ، ونقصًا وشرًّا»(١) .

« والحاصل أن الله ـ تعالى ـ لا يُنسب إليه الشر ؛ لأنه إن أريد بالشر وضع الشيء في غير موضعه ـ فهو الظلم ، ومقابله العدل ، والله منزه عن الظلم .

وإن أريد به الأذى اللاحق بالمحل بسبب ذنب ارتكبه ـ فإيجاد الله للعقوبة على ذنب لا يُعد شراً له ، بل ذلك عدل منه ـ تعالى ـ .

وإن أريد به عدم الخير وأسبابه الموصلة إليه ـ فالعدم ليس فعلاً حتى ينسب إلى الله ، وليس للعبد على الله أن يوفقه ، فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومنع الفضل ليس بظلم ولا شر »(٢) .

---

(١) شفاء العليل ٣٣٦ ، وانظر : ص ٣٦٦ ـ ٣٨٥ من الكتاب نفسه ، وانظر إلى : منهاج السنة ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦ و ٣ / ١٤٢ ـ ١٤٥ ، وانظر : الحسنة والسيئة لابن تيمية ص ٥٢ ـ ٥٣ ، وانظر : طريق الهجرتين ص ١٧٢ ـ ١٨١ ، ومدارج السالكين ١ / ٤٠٩ ، مشهد الحكمة إلى ٤١٢ ، وبدائع الفوائد لابن القيم ٢ / ٢١٤ ـ ٢١٥ ، والروضة الندية لزيد ابن فياض ص ٣٥٤ ـ ٣٦٠ ، والحكمة والتعليل في أفعال الله د . محمد بن ربيع المدخلي ص ١٩٩ ـ ٢٠٤ .

(٢) الحكمة والتعليل في أفعال الله ص ٢٠٢ ، وانظر إلى : دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب للشيخ العلامة : محمد الأمين الشنقيطي ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

قال شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ : « والله ـ تعالى ـ غني عن العباد ، إنما أمرهم بما ينفعهم ، ونهاهم عما يضرهم ، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم ، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة ، ولو قدِّر أن عالمًا صالحًا أمر الناس بما ينفعهم ، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به ، ولم يعن آخرين لكان محسنًا إلى هؤلاء إحسانًا تامًا ، ولم يكن ظالمًا لمن لم يحسن إليه . وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته ـ لكان أيضا محمودًا على هذا وهذا .

وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين ، وأرحم الراحمين ؟! فأمره لهم إرشاد ، وتعليم ، وتعريف بالخير ، فإن أعانهم على فعل المأمور ـ كان قد أتم النعمة على المأمور ، وهو مشكور على هذا وهذا ، وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب ـ كان له في ذلك حكمة أخرى »[(١)] .

ثم إن على العبد إذا عرف ما يضره وينفعه ـ أن يَذلَّ لله ـ عز وجل ـ ؛ حتى يعينه على فعل ما ينفعه ، ولا يقول : أنا لا أفعل حتى يخلق الله فيَّ الفعل ، كما أنه لو هجم عليه عدو أو سبع ـ فإنه يهرب ويفر ولا يقول : سأنتظر حتى يخلق الله فيَّ الهرب[(٢)] .

ومن هنا يتبين لنا أن الشر لا ينسب إلى الله ـ عز وجل ـ .

---

(١) منهاج السنة ٣ / ٣٨ ، وانظر : الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٤ـ٣٦ ، ورسالة الثغر للأشعري ص ٨٥ .

(٢) انظر : القضاء والقدر للشيخ د. عبد الرحمن المحمود ص ٢٨٠ .

المبحث الثاني

الإشكال الثاني
كيف يريد الله أمراً ولا يحبه ؟[1]

إذا قيل كيف يريد الله أمرًا ، وفي الوقت نفسه لا يرضاه ولا يحبه؟ وكيف يُجمع بين إرادته له وبغضه وكراهته ؟

قيل : إن المراد نوعان : مراد لنفسه ، ومراد لغيره ، فالمراد لنفسه مطلوب محبوب لذاته وما فيه من الخير ، فهو مراد إرادة الغايات والمقاصد ، والمراد لغيره قد لا يكون مقصودًا لما يريد ، ولا فيه مصلحة بالنظر إلى ذاته - وإن كان وسيلة إلى مقصوده ومراده - فهو مكروه له من حيث نفسه وذاته ، مراد له من حيث قضاؤه ، وإيصاله إلى مراده ؛ فيجتمع الأمران : بغضه ، وإرادته ، ولا يتنافيان ، فيبغض من وجه ، ويحب من وجه آخر ، وهذا أمر معلوم عند الخلق ؛ فهذا الدواء الكريه الطعم والرائحة إذا علم الإنسان أن فيه شفاءه أبغضه من وجه ، وأحبه

---

(١) انظر تفصيل ذلك في شفاء العليل الباب الحادي والعشرين ص ٣٦٤ - ٤١٢ ، وانظر : إلى الباب الثاني والعشرين من الكتاب نفسه ص ٤٤٥ - ٤٦٠ ، وانظر : طريق الهجرتين ص ١٨١ - ١٨٣ ، والفوائد ص ١٣٦ - ١٤٠ ، وانظر إلى مقدمة مفتاح دار السعادة ص ٣ ، وما بعدها من المقدمة ، وانظر إلى شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٢ - ٢٥٦ ، والحكمة والتعليل في أفعال الله ص ٢٠٥ - ٢١٠ ، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٣٣٩ - ٣٤٣ .

من وجه آخر .

وقل مثل ذلك في العضو المتآكل إذا علم أن في قطعه بقاءً لجسده ، وكقطع المسافة الشاقة إذا علم أنها توصل إلى مراده ومحبوبه ، كالذي يقطع الفيافي ، والمفاوز ، والقفار قاصداً البيت العتيق .

ومن هنا يتبين لنا أن الشيء يجتمع فيه الأمران : بغض من وجه ، وحب من وجه آخر ، ولا يتنافيان ، هذا في شأن المخلوق ، فكيف بالخالق الذي لا تخفى عليه خافية ، والذي له الحكمة البالغة ؟ فهو ـ سبحانه ـ يكره الشيء ، ولا يتنافى ذلك مع إرادته له لأجل غيره ، وكونه سببًا إلى أمر هو أحب إليه مما هو فوقه ، ولنضرب على ذلك مثالين مع بيان الحكمة من ذلك :

المثال الأول : خلق إبليس والحكمة من ذلك :

الله ـ عز وجل ـ خلق إبليس الذي هو مادة الفساد التي تمد كل فساد في هذه الدنيا ، في الأديان ، والاعتقادات ، والشهوات ، والشبهات ، وهو سبب لشقاوة العباد ، وعَمَلِهم ما يغضب الله ـ عز وجل ـ وهو مع ذلك كله وسيلة إلى محابَّ كثيرةٍ ، وحكم عظيمة .

وقبل الحديث عن تلكم الحكم ـ يجدر بنا أن نتنبه إلى أمر مهم ، وهو أنه لا يلزم من أثبت تعليل أفعال الله بالحكم والمصالح ـ أن يعلم علة كل فعل وأمر ، بل عليه أن يعتقد أن لله ـ تعالى ـ في جميع أفعاله حكمًا جليلة ـ ظهرت لنا أو خفيت ـ فالله ـ عز وجل ـ لم يطلع خلقه على جميع حكمه ، بل أعلمهم بما شاء ، وما خفي عليهم أكثر مما

علموه ، فيجب على المسلم أن يعتقد أن أفعال الله وأوامره لا تخلو من الحكم الباهرة العظيمة التي تحيِّر العقول ـ وإن كان لا يعلمها على وجه التفصيل ـ ؛ لأن عدم العلم بالشيء ليس دليلاً على عدمه ؛ فالطب مثلاً وإجراء العمليات الجراحية لا يعلمها إلا المتخصصون ، وكذلك الهندسة وغيرها ، وليس عدم علمنا ، ومعرفتنا بها يقتضي عدمها ونفيها .

إذا تقرر هذا فإليك بعض الحكم التي تلمسها العلماء من خلق إبليس :

(١) ـ أن يظهر للعباد قدرةُ الرب ـ تعالى ـ على خلق المتضادات والمتقابلات ، فخلق هذه الذات ـ إبليس ـ التي هي أخبث الذوات ، وهي سبب كل شر ، وخلق في مقابلها ذات جبريل التي هي من أشرف الذوات وأزكاها ، والتي هي مادة كل خير ، فتبارك من خلق هذا وهذا، كما ظهرت قدرته في خلق الليل والنهار ، والداء والدواء ، والموت والحياة ، والحسن والقبيح ، فالضد يظهر حسنه الضد ، وهذا أدلُّ دليل على كمال قدرته ، وعزته ، وملكه ، وسلطانه .

(٢) ـ أن يكمِّل لأوليائه مراتب العبودية ؛ وذلك بمجاهدة إبليس وحزبه، وإغاظته بالطاعة لله ، والاستعاذة بالله منه ، واللجوء إلى الله أن يعيذهم من كيده ، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية ، والأخروية ما لا يحصل بدونه .

(٣) ـ أن إبليس خلق ليكون محكًا يمتحن به الخلق ؛ ليتبين به الخبيث من الطيب .

(٤) ـ أن المحبة ، والإنابة ، والتوكل ، والصبر ، والرضا ،

ونحوها ـ أحب أنواع العبودية لله ، وهذه إنما تتحقق بالجهاد ، وبذل النفس ، وتقديم محبته ـ عز وجل ـ على كل من سواه ، فكان خلق إبليس سببًا لوجود هذه الأمور .

(٥) ـ ظهور آثار أسمائه ـ تعالى ـ ومقتضياتها ، ومتعلقاتها ، فمن أسمائه الرافع ، الخافض ، المعز ، المذل ، الحكم ، العدل ، وهذه الأسماء تستدعي متعلقات يظهر فيها أحكامها ، فكان خلق إبليس سببًا لظهور آثار هذه الأسماء ، فلو كان الخلق كلهم مطيعين ، ومؤمنين لم تظهر آثار هذه الأسماء .

(٦) ـ أما كونه ـ سبحانه وتعالى ـ أنظر إبليس إلى يوم القيامة ـ فليس ذلك إكرامًا له بل إهانة له ليزداد إثماً ، فتعظم عقوبته ، ويتضاعف عذابه ، إضافة إلى ذلك فالله جعله محكًا ليميز به الخبيث من الطيب ـ كما سبق ـ وما دام أن الخلق مستمر إلى يوم القيامة ـ فإن هذا يقتضي بقاءه ببقاء خلق البشر ، والله أعلم .

المثال الثاني : خلق المصائب والآلام والحكمة من ذلك :

وكذلك خلق الآلام والمصائب فيه من الحكم ما لا يحيط بعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ تلك الحكم التي تنطق بفضل الله ، وعدله ، ورحمته . ومنها :

(١) ـ أن في الآلام ، والمصائب امتحانًا لصبر المؤمن .

(٢) ـ أن فيها تدريبًا له وتقوية لإيمانه .

(٣) ـ أن فيها دليلاً على ضعف الإنسان ، وافتقاره الذاتي إلى

ربه ، ولا فلاح له إلا بافتقاره إلى ربه ، وانطراحه بين يديه .

(٤) ـ المصائب سبب لتكفير الذنوب ، ورفع الدرجات ، قال ﷺ : «**ما من شيء يصيب المؤمن حتى الشوكة تصيبه إلا كتب الله له بها حسنة ، أو حُطّت عنه بها خطيئة**» [١] .

(٥) ـ أنها سبب في حصول الأجر للمريض المسلم ، والطبيب المعالج المسلم .

(٦) ـ أن هذه الآلام منها ما يكون سببًا لصحة الجسم ، كما قيل :
وربما صحت الأبدان بالعلل [٢] .

(٧) ـ أن حصول النعمة بعد ألم ومشقة أعظم قدرًا عند الإنسان .

(٨) ـ معرفة فضل الصحة والعافية ، وقدرها حق قدرها . .

إلى غير ذلك من الحكم التي قد يعلمها بعض الناس وقد لا يعلمها[٣] .

ومن هنا يتضح لنا أنه لا تنافي بين إرادة الله لأمر من الأمور مع بغضه له ؛ لما له ـ عز وجل ـ من الحكم العظيمة الباهرة ، « وليس اطلاع كثير من الناس ـ بل أكثرهم ـ على حكم الله في كل شيء نافعًا لهم ، بل قد يكون ضارًا ، قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن**

---

(١) رواه مسلم ، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه ٣ / ١٩٩٢ رقم (٢٥٧٢) .

(٢) هذا عجز بيت للمتنبي وصدره : لعل عتبك محمود عواقبه ، انظر : ديوان المتنبي ٣/ ٨٦ .

(٣) انظر : صيد الخاطر لابن الجوزي ص ٩١ ـ ٩٥ و ٢١٣ ـ ٢١٥ و ٣٢٧ ـ ٣٢٨ .

تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [سورة المائدة، الآية / ١٠١] .

وهـذه المسـألة : مسألة غايـات أفعـال الله ، ونهـاية حكمته ، مسألة عظيمة ، لعلها أجلّ المسائل الإلهية »(١) .

قال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ : « وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل ، لا يجوز : كيف خلق ؟ وكيف قدَّر ؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخـرج من قـدرته شيء ، ولا يكون في ملكوته من السموات والأرض إلا ما أراد ، وأنه لا دين لأحد عليه ، ولا حق لأحد قبله ، فإن أعطى فبفضل ، وإن منع فبعدل » »(٢) .

وبهـذا يتضح لنا اجتـماع الأمـرين في حق الله ـ تعالى ـ إرادته للشيء مع بغضه له ، ولا تنافي في ذلك .

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٩ ، وانظر : ١/ ١٤٦ من الكتاب نفسه ، ومجموع الفتاوى ٨/ ٨١ ، وانظر : إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/ ١٨٧ ـ ١٩٥ .

(٢) انظر : الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٥ ، وانظر : الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/ ٣٩٠ .

المبحث الثالث

الإشكال الثالث
هل يجب الرضا بكل ما قدره الله ؟

الجواب عن ذلك أن يقال : « نحن غير مأمورين بالرضا بكل ما يقضيه الله ويقدره ، ولم يرد بذلك كتابٌ ، ولا سنة »(١) ، بل إن الأمر فيه تفصيل ، قال شيخ الإسلام في قصيدته التائية في القدر :

وأما رضانا بالقضاء فإنَّما ... أُمِرْنا بأن نرضى بمثل المصيبةِ
كسُقْمٍ وفقرٍ ثم ذلٍّ وغربةٍ ... وما كان من مؤذٍ بدون جريمةٍ
فأما الأفاعيلُ التي كُرهت لنا ... فلا نصٌّ يأتي في رضاها بطاعة
وقد قال قومٌ من أولي العلم لا رضًا ... بفعل المعاصي والذنوب الكبيرة
وقال فريق نرتضي بقضائه ... ولا نرتضي المقضيَّ أقبحَ خصلة
وقال فريق نرتضي بإضافةٍ ... إليه وما فينا فنلقى بسخطة
كما أنها للرب خلقٌ وأنها ... لمخلوقه ليست كفعل الغريزة
فنرضى من الوجه الذي هو خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب الخطيئةِ(٢)

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥٨ ، وانظر : منهاج السنة ٣/ ٢٠٥ ، والاستقامة ٢/ ١٢٥ـ١٢٦ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٢٥٣ ، وانظر : الدرة البهية شرح القصيدة التائية لابن سعدي ص٥١ .

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في شرح هذه الأبيات :

« يعني إذا أورد المورد علينا : أنه يجب الرضا بقضاء الله ـ يعني والمعاصي من قضاء الله ـ فقد أجاب الشيخ ـ يعني شيخ الإسلام ـ بأربعة أجوبة ، كل واحد منها كاف شاف ، فكيف إذا اجتمعت ؟

ـ **أحدها** : أن الذي أمرنا أن نرضى به : المصائب دون المعائب ، فإذا أصبنا بمرض أو فقر ، أو نحوهما من حصول مكروه أو فقد محبوب ـ فيجب علينا الصبر ، واخْتُلف في وجوب الرضا ، والصحيح استحبابه ؛ لأنه لم يثبت ورود الأمَر به على وجه الوجوب ؛ لتعذره على أكثر النفوس ؛ لأن الصبر حبس النفس عن التسخط ، واللسان عن الشكوى ، والأعضاء عن عملها بمقتضى السخط ، من نتف الشعر ، وشق الجيوب ، وحثو التراب على الرؤوس ، ونحوها ، وذلك واجب مقدور .

أما الرضا الذي هو مع ذلك طمأنينةُ القلب عند المصيبة ، وأن لا يكون فيه تمني أنها ما كانت ـ فهذا صعب جدًا على أكثر الخلق ؛ فلهذا لم يوجبه الله ، ولا رسوله ، وإنما هو من الدرجات العالية ، وهو مأمور به أمر استحباب .

وأما الرضا بالذنوب والمعائب فلم نؤمر بالرضا بها ، ولم يأت نصٌّ صحيح ، أو ضعيف في الأمر بها ، فأين هذا من ذاك ؟ .

ـ **الجواب الثاني** : ما قاله طائفة من أهل العلم : أن الله لم يرض لنا أن نكفر ، ونعصي ؛ فعلينا أن نوافق ربَّنا في رضاه ، وسخطه ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن**

تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر ، الآية / ٧] . فالدين : موافقة ربنا في كراهة الكفر ، والفسوق ، والعصيان مع تركها ، وموافقته في محبة الشكر والإيمان ، والطاعة لنا مع فعلها .

ـ **الجواب الثالث** : أن القضاء غير المقضي ، فنرضى بالقضاء ؛ لأنه فعله ـ تعالى ـ وأما المقضي الذي هو فعل العبد فينقسم إلى أقسام كثيرة : الإيمان ، والطاعة علينا الرضا بها ، والكفر ، والمعصية لا يحل لنا الرضا بها ، بل علينا أن نكرهها ، ونفعل الأسباب التي ترفعها من التوبة ، والاستغفار والحسنات الماحية ، وإقامة الحد والتعزير على من فعلها ، والمباحاتُ مستويةُ الطرفين .

ـ **الجواب الرابع** : أن الشر والمعاصي تختلف إضافتها ، فهي من الله خلقًا وتقديرًا وتدبيراً ، وهي من العبد فعلاً وتركاً ، فحيث أضيفت إلى الله ـ قضاءً وقدراً ـ نرضى بها من هذا الوجه ، وحيث أضيفت إلى العبد ـ نسخطها ، ونسعى بإزالتها بحسب مقدورنا .

فهذه الأجوبة عن الأمر بالرضا بالقضاء قد اتضح أنها لا تدل على شيء من مطلوب المعترض » [1] .

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ص ٥١ ـ ٥٣ ، وانظر : إلى منهاج السنة ٣ / ٢٠٣ ـ ٢٠٩ ، والاستقامة ٢ / ٧٣ ـ ٧٦ ، وشرح الطحاوية ص ٢٥٨ ، وانظر : إلى مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ص ١٢٤ ـ ١٢٥ ، والمنتقى من فرائد الفوائد لابن عثيمين ص ١٠٩ .

المبحث الرابع

الإشكال الرابع

مسألة القدر المثبت والقدر المعلق، أو المحو والإثبات، زيادة العمر ونقصانه

قد يشكل على بعض الناس مواضعُ في كتاب الله، وأحاديث رسول الله ﷺ فيقول بعضهم : إذا كان الله علم كل ما هو كائن، وكتب ذلك كله عنده في كتاب - فما معنى قوله : ﴿ **يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ** ﴾ [سورة الرعد، الآية / ٣٩] ؟ وإذا كانت الأرزاق والأعمار، والآجال مكتوبة لا تزيد ولا تنقص - فما التوجيه لقوله ﷺ : « **من سره أن يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه** [١] » [٢] .

والجواب أن القدر قدران :

١ - القدر المثبت، أو المطلق، أو المبرم :

وهو ما في أم الكتاب - اللوح المحفوظ - فهذا ثابت لا يتغير، ولا يتبدل .

---

(١) متفق عليه، البخاري مع الفتح ١٠ / ٤٢٩، رقم (٥٩٨٥)، ومسلم مع النووي ١٦/ ١١٤ .

(٢) انظر : القضاء والقدر للأشقر ٦٦ .

(٢) ـ القدر المعلق، أو المقيد:

وهو ما في كتب الملائكة ، فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات .

فالآجال والأرزاق والأعمار ، وغيرها مثبتة في أم الكتاب لا تتغير، ولا تتبدل ، أما ما في صحف الملائكة فيقع فيه المحو والإثبات ، والزيادة والنقص .

قال شيخ الإسلام :

« والأجل أجلان : أجل مطلق يعلمه الله ، وأجل مقيد ، وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ : « **من سره أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» فإن الله أمر الملك أن يكتب له أجلاً وقال : إن وصل رحمه زدته كذا وكذا ، والملك لا يعلم أيزداد أم لا ؟ لكن الله يعلم ما يستقر عليه الأمر، فإذا جاء الأجل لا يتقدم ولا يتأخر »[(١)] .

وقال في موطن آخر عندما سئل عن الرزق : هل يزيد وينقص ؟ : « الرزق نوعان : أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير ، والثاني : ما كتبه ، وأعلم به الملائكة ، فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب»[(٢)] .

قال ابن حجر : « كأن يقال للملك ـ مثلاً ـ إن عُمُرَ فلانٍ مائةُ عام ـ مثلا ـ إن وصل رحمه ، وستون إن قطعها ، وقد سبق في علم الله أنه يصل أو يقطع ، فالذي في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر ، والذي في علم

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٥١٧ .

(٢) نفس المصدر السابق ٨/ ٥٤٠ .

الملك هو الذي يمكن فيه الزيادة والنقص ، وإليه الإشارة بقوله : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [سورة الرعد، الآية / ٣٩] . فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك .

وما في أم الكتاب - هو الذي في علم الله - تعالى - ، فلا محو فيه البتة ، ويُقال له : القضاء المبرم ويقال للأول : القضاء المعلق »[1] .

ثم إن « الأسباب التي يحصل بها الرزق هي من جملة ما قدره الله وكتبه ، فإن كان قد تقدم بأن يرزق العبد بسعيه واكتسابه - ألهمه السعي ، والاكتساب ، وذلك الذي قدره له بالاكتساب ، لا يحصل بدون الاكتساب ، وما قدره له بغير اكتساب ، كموت مورثة يأتيه بغير اكتساب»[2] .

فلا مخالفة في ذلك « لسبق العلم بل فيه تقيد المسببات بأسبابها ، كما قدر الشبع والروي[3] ، بالأكل والشرب ، وقدر الولد بالوطء ، وقدر حصول الزرع بالبذر ، فهل يقول عاقل بأن ربط هذه المسببات بأسبابها يقتضي خلاف العلم السابق ، أو ينافيه بوجه من الوجوه» ؟[4] !

---

(١) فتح الباري ١٠ / ٤٣٠ ، وانظر : إلى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٨٩ ، وانظر : إلى شرح صحيح مسلم للنووي ١٦ / ١١٤ ، وانظر : إلى إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه للسيوطي .

(٢) مجموع الفتاوى (٨ / ٥٤٠ - ٥٤١) .

(٣) هكذا وردت ، ولعلها (الري) .

(٤) تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل للشوكاني (٣٢) ، وانظر : إلى تفسير ابن سعدي لقوله تعالى : ﴿ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ﴾ (٤ / ١١٦ ، ١١٧) من التفسير .

هذا وقد سبق الحديث في أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب[١].

(١) علق سماحة الشيخ عبد العزيز ـ حفظه الله ـ على ما مضى بقوله : « والأظهر أن جميع أنواع القدر كلها موجودة في أم الكتاب ، فما كان منها معلقًا على أسبابه وجد عند وجود السبب ، وما كان غير معلق وقع في وقته لا يتقدم ولا يتأخر ، والعبد مأمور بفعل الأسباب ، وأداء الأوامر ، وترك النواهي ، وكل ميسر لما خلق له كما قال النبي ﷺ لما ذكر القدر وسأله الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بقولهم : ففيما العمل ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » الحديث والله ولي التوفيق » اـ هـ .

المبحث الخامس

الإشكال الخامس
هل الإنسان مسير أم مخير ؟

هذا السؤال يرد كثيراً في كتب الفلسفة ، وعلم الكلام ، وفي كتابات بعض المتأخرين ، وهناك من يجيب عن هذا السؤال بأن الإنسان مسير لا مخير ، كما أن هناك من يجيب بأنه مخير لا مسير .

والحقيقة أن الإجابة عن هذا السؤال بهذا الإطلاق خطأ ؛ ذلك أن الإجابة تحتاج إلى بعض التفصيل .

ووجه الخطأ في الإجابة بأن الإنسان مسير لا مخير ـ تكمن فيما يرد على هذه الإجابة من إشكال ؛ فإذا قيل : إنه مسير بإطلاق ـ قيل : كيف يحاسب وهو مسير ؟ وكيف يكون مسيراً ونحن نرى أن له مشيئة وقدرة واختياراً ؟ وما ذا نعمل بالآيات التي تثبت له المشيئة ، والقدرة ، والاختيار؟ .

أما إذا أجيب بأنه مخير لا مسير ، ـ فيقال : كيف يكون مخيراً ونحن نرى أنه قد ولد بغير اختياره؟ ، ويمرض بغير اختياره؟ ، ويموت بغير اختياره ؟ إلى غير ذلك من الأمور الخارجة عن إرادته .

فإن قيل : إنه مخير في أفعاله التي تقع بإرادته واختياره ـ قيل : وأفعاله الاختيارية كذلك ؛ فقد يريد أمراً ، ويعزم على فعله ، وهو قادر

على ذلك ـ فيفعله ، وقد لا يفعله ؛ فقد يعوقه ما يعوقه ؛ إذًا فليس كل ما أراد فِعْله فَعَلَهُ وهذا شيء مشاهد .

ومن هنا يتبين لنا وجه الخطأ في هذا الجواب ؛ فلو كان الإنسان مسيرًا بإطلاق لما كان له قدرة ومشيئة ، ولو كان مخيرًا بإطلاق لفعل كل ما شاءه، فمن قال بالتسيير بإطلاق فهو ألصق بمذهب الجبرية الذين قالوا: إن العبد مجبور على فعله ، وأنكروا أن يكون له قدرة ومشيئة وفعل (١) .

ومن قال بالتخيير بإطلاق فهو ألصق بمذهب القدرية النفاة الذين قالوا: بأن الأمر أنف ، وأن العبد هو الخالق لفعله ، وأنه مستقل بالإرادة والفعل (٢) .

فما الجواب ـ إذًا ـ عن هذا السؤال ؟ وما المخرج من هذا الإشكال؟

الجواب: أن الحق وسط بين القولين ، وهدى بين هاتين الضلالتين . فيقال ـ وبالله التوفيق ـ : إن الإنسان مخير باعتبار، ومسير باعتبار ؛ فهو مخير باعتبار أن له مشيئةً يختار بها ، وقدرةً يفعل بها ؛ لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[سورة الكهف، الآية / ٢٩]. وقوله : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ⑩ ﴾[سورة البلد ، الآية / ١٠] . وقوله : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾[سورة البقرة ، الآية / ٢٢٣] . وقوله : ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[سورة آل عمران ، الآية / ١٣٣] .

---

(١) انظر : ص ١٧٥ من هذا الكتاب.

(٢) انظر : ص١٧٤ من هذا الكتاب .

ولقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز** »(١) . . الحديث ، وقوله : « **صلوا قبل المغرب** » قال في الثالثة : «**لمن شاء** »(٢) ، إلى غير ذلك من الأدلة في هذا المعنى .

وهو مسير باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه ؛ لكونه لا يخرج عما قدَّره الله له ؛ فلا يخرج في تخييره عن قدرة الله ـ عز وجل ـ ؛ لقوله ـ تعالى ـ : ﴿ **هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ** ﴾ [سورة يونس، الآية / ٢٢] . وقوله : ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [سورة القصص ، الآية / ٦٨] .

ولقوله ﷺ : « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة** »(٣) .

إلي غير ذلك من الأدلة بهذا المعنى .

ولهذا جمع الله بين هذين الأمرين ـ كون الإنسان مخيراً باعتبار ومسيراً باعتبار ـ كما في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)** ﴾ [سورة التكوير ، الآيتان / ٢٨ ـ ٢٩] .

فأثبت ـ عز وجل ـ أن للعبد مشيئة ، وبين أن مشيئته تابعة لمشيئة الله واقعة بها .

(١) رواه مسلم ٨ / ٥٦ رقم (٢٦٦٤) .

(٢) رواه البخاري ٣ / ٤٩ .

(٣) رواه مسلم ٨ / ٥١ .

وكذلك الرسول ﷺ كما في قوله : « **ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار** » **قالوا : يا رسول الله : فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال:** «**لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له** » (١) .

فهذا الحديث دليل لما سبق ؛ فهو يدل على أن الإنسان مخير ؛ لقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ « **اعملوا** » وعلى أنه لا يخرج في تخييره عن قدر الله ؛ لقوله : « **فكل ميسر لما خلق له** » (٢) .

هذا هو مقتضى أدلة الشرع والواقع في هذه المسألة (٣) .

فلعل في هذا التقرير ـ إجابة شافية ، وجمعًا بين النصوص في هذه المسألة .

ومما يستحسن في هذا الأمر ـ أن يصحح السؤال ؛ فبدلاً من أن يقال : هل الإنسان مسير أم مخير ؟ كان الأولى أن يقال : هل للإنسان مشيئة وقدرة أم لا ؟

والجواب ـ كما تقدم ـ وتلخيصه أن يقال : إن للإنسان مشيئة يختار بها ، وقدرة يفعل بها ، وقدرته ومشيئته تابعتان لمشيئة الله ، واقعتان بها .

وبهذا يزول الإشكال ، ويجاب عن هذا السؤال .

ومن هنا يتبين لنا خطأ بعض من يكتبون عن القدر ، وذلك حينما

---

(١) رواه البخاري ٧ / ٢١٢ ، ومسلم ٨ / ٤٧ رقم (٢٦٤٧) .

(٢) انظر : ص ٤٣ ـ ٥٢ و ص ٦١ ـ ٧٢ من هذا الكتاب ، وانظر : دفع إيهام الاضطراب ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧ ، وفتاوى اللجنة الدائمة ٣ / ٣٧٧ ـ ٣٨٠ .

يصدِّرون كتاباتهم عن القدر بذلك السؤال : هل الإنسان مسير أم مخير؟ ويطنبون في الخوض فيه ، والحديث عنه ، دون خروج بنتيجة صحيحة ـ في الغالب ـ ، وكأن باب القدر لا يفهم إلا بالإجابة عن هذا السؤال (١) .

وكان الأولى بهؤلاء إذا أرادوا أن يكتبوا عن القدر ـ أن يصدروها بتوضيح القدر من أصله من خلال نصوص الكتاب والسنة لا من خلال العقول القاصرة ، فيوضحوا القدر بمراتبه الأربع ، ويبينوا أن الله أمر ونهى ، وأن على العبد أن يؤمن بالقدر ويؤمن الشرع ، فعليه تصديق الخبر ، وطاعة الأمر ، فإن أحسن فليحمد الله ، وإن أساء فليستغفر الله .

وكذلك يبينون أن على العبد أن يسعى في مصالحه الدنيوية ، ويأخذ بالأسباب المشروعة والمباحة ، فإذا حصل على مراده حمد الله ، وإن أتت الأمور على خلافه تعزى بقدره ، وهكذا .

ففي ذلك الغنيةُ عن كثرة الخوض في مثل هذا السؤال ؛ فالإنسان إذا فهم باب القدر على هذا النحو سلم من تلك الإيرادات والشبهات .

---

(١) انظر على سبيل المثال إلى كتاب : القضاء والقدر للشيخ محمد الشعراوي ص ٩ ـ ١٢ ، ومسألةالقضاء والقدر لعبد الحليم قنبس ، وخالد العك ١١٥ ـ ١٥٠ ، وما هو القضاء والقدر ، محمد محمود عجاج ، والقضاء والقدر حق وعدل للأستاذ هشام الحمصي ص١١٧ ـ ١٢٦ .

المبحث السادس

الإشكال السادس

كيف نوفق بين استئثار الله بعلم ما في الأرحام، وبين علم الأطباء بذكورة الجنين في الرحم من أنوثته؟

فهذا الإشكال يَرِد، ويلبس على كثير من الناس، وخلاصته قولهم: إذا كان الله - عز وجل - يقول في سورة لقمان: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** (٣٤) ﴾ [سورة لقمان، الآية / ٣٤]. وإذا كان الرسول ﷺ يقول - كما في الصحيحين، وغيرهما عن ابن عمر: « **في خمس من الغيب لايعلمهن إلا الله، ثم قرأ: « إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ** ... » الآية [لقمان / ٣٤] (١).

فكيف نوفق بين ذلك، وبين ما نراه من علم الأطباء بذكورة الجنين من أنوثته ؟.

والجواب عن هذا الإشكال يسير بحمد الله، وقبل الدخول في ثنايا الإجابة لا بد من تبيان مسألة مهمة، ألا وهي « أنه لا يمكن أن يتعارض صريح القرآن الكريم مع الواقع أبدًا، وأنه إذا ظهر في الواقع ما ظاهره المعارضة - فإما أن يكون الواقع مجرد دعوى لا حقيقة له، وإما

(١) البخاري ١ / ١٨، ومسلم ١ / ٣٩ (٩).

أن يكون القرآن الكريم غير صريح في معارضته ؛ لأن صريح القرآن الكريم ، وحقيقة الواقع كلاهما قطعي ، ولا يمكن تعارض القطعيَّيْن أبدًا » [(١)] .

وهذا ما قرره العلماء في القديم وفي الحديث ، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بنى كتابه العظيم - درء تعارض العقل والنقل - على هذه القاعدة .

بل لقد صرح بذلك كثير من الكتاب الغربيين المنصفين ، ومنهم الكاتب الفرنسي (موريس بوكاي) كما في كتابه (التوارة والإنجيل والقرآنُ والعلم) ؛ حيث بين في هذا الكتاب أن التوراة المحرفة ، والإنجيل المحرف الموجودين اليوم - يتعارضان مع الحقائق العلمية ، في الوقت الذي سجل فيه هذا الكاتب شهادات تفوق للقرآن الكريم سبق بها القرآنْ العلمَ الحديثَ .

وأثبت من خلال ذلك أن القرآن لا يتعارض أبدًا مع الحقائق العلمية ، بل إنه يتسق معها تمام الاتساق [(٢)] .

إذا تقرر ذلك نأتي إلى حل ذلك الإشكال فيقال :

(١) - إن اختصاص علم الله - تعالى - بما في الأرحام - لا يقتصر على علمه بما فيها من ذكر أو أنثى فحسب ، بل هو أعم من ذلك ؛ فيشمل ما في الرحم من ذكر أو أنثى منذ اللحظة الأولى قبل التخليق ، ويشمل ماذا في الرحم في كل لحظة وفي كل طور ، من فيض وغيض

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين ٣ / ٧٧ .

(٢) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي ترجمة الشيخ حسن خالد .

وحمل ، حتى حين لا يكون للحمل حجم ولا جرم . ويشمل العلم بملامح الجنين ، وخواصه ، واستعداداته [١] .

ويشمل ـ أيضا ـ العلم برزقه هل هو قليل أم كثير؟ وصفة ذلك الرزق هل هو حرام أم حلال؟ ويشمل العلم بأجله أقصير هو أم طويل؟ ويشمل العلم بعمله هل هو صحيح أم فاسد؟ ويشمل العلم بشقاوته من سعادته [٢] .

فهذا من علم ما في الأرحام ، وهو مما اختص الله ـ تبارك وتعالى ـ بعلمه ، فلا يظهر عليه أحدًا إلا من ارتضى من رسول أو ملك أو غيرهما .

«وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة ، وكذلك لم تأت السنة بذلك » [٣] .

(٢) ـ أن معرفة ما في الرحم هل هو ذكر أم أنثى ـ لا يعلم إلا بعد تخليق الجنين .

أما المدة التي لم يُخَلَّق فيها الجنين ـ فلا يعلم أحد فيها ذكورة الجنين من أنوثته ؛ لأن ذلك من علم الغيب .

وقد « اتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر »[٤] .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ٢٧٩٩ .

(٢) انظر : فتح الباري ١١ / ٤٩٢ .

(٣) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٣ / ٧٧ .

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ١٦ . ١٩١ ، وفتح الباري ١١ / ٤٩٣ .

ونفخ الروح في الجنين لا يكون إلا بعد تمام صورته ، أي بعد تخليقه(١) .

وبعد تخليقه لا يكون العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب ؛ «لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة ، إلا أنه مستتر في الظلمات التي لو أزيلت لتبين أمره .

ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله ـ تعالى ـ من الأشعة ـ أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكرًا أم أنثى »(٢) .

ولذلك فلا غرابة أن يعرف الجنين بعد أن يتخلق من خلال الأشعة الصوتية ؛ فهذا من علم الشهادة ، ومن العلم بظاهر من الحياة الدنيا ، والله ـ عز وجل ـ لم ينف ذلك عن البشر ، بل أثبته لهم كما في قوله : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ [سورة الروم ، الآية / ٧] .

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ في تفسير آية لقمان [٣٤) : [ويعلم ما في الأرحام] : « وكذلك لا يعلم مما يريد أن يخلقه ـ تعالى ـ سواه ، ولكن إذا أمر بكونه ذكرًا أو أنثى ، أو شقيًا أو سعيدًا ـ علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء من خلقه »(٣) .

فهذا هو مقتضى دلالة الشرع والواقع .

أما دلالة الشرع فكما جاء في الصحيحين عن أنس ـ رضي الله عنه

---

(١) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ١٦/ ١٩١ .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ ابن عثيمين ٣ / ٧٧ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٤٣٧ .

ـ أن النبي ﷺ قال : « **وكل الله بالرحم ملكًا يقول : أي ربٍّ نطفة ، أي ربٍّ علقة ، أي رب مضغة . فإذا أراد الله أن يقضي خلقًا قال : يا رب ، أذكر أم أنثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ فما الرزق ؟ فما الأجل ؟ فيكتب كذلك في بطن أمه** »[1] .

أما دلالة الواقع فكما مر من أن الجنين يعرف بعد أن يخلق عن طريق الأشعة الصوتية .

(١) البخاري مع الفتح (٦٥٩٥) ، ومسلم (٢٦٤٦) .

الباب الثالث

الانحراف في مفهوم القدر

وتحته فصلان :

الفصل الأول : أخطاء في القدر .

الفصل الثاني : الضلال في باب القدر .

الفصل الأول

أخطاء في باب القدر

الفصل الأول

أخطاء في باب القدر

هناك أخطاء عديدة يقع فيها كثير من الناس في باب القدر ، وهذه الأخطاء ، منها ما هو في الأقوال ، ومنها ما هو في الأفعال ، ومنها ما هو في الاعتقادات، ومنها ما هو في ذلك كله ، ومن تلك الأخطاء ما يلي :

(١) ـ الاحتجاج بالقدر على المعائب :

قد مر بنا قريباً أن الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب.

وهناك من يحتج بالقدر على المعائب ، فيحتج بالقدر على استمراره بفعل المعاصي وترك الطاعات .

فإذا قيل له ـ مثلاً ـ : لِمَ لا تصلي ؟ قال : ما أراد الله لي ذلك ! وإذا قيل له : متى ستتوب ؟ قَال : إذا أراد الله لي ذلك !

وهذا خطأ وضلال وانحراف ؛ لأنه إن كان يقصد بالإرادة هنا الإرادة بمعنى المحبة فقد أعظم الفرية على الله ؛ لأن الله ـ عز وجل ـ أحبَّ الطاعة، ورضيها ، وأمر بها وشرعها .

وإن كان يقصد بها الإرادة بمعنى المشيئة، وأن الله لم يُقَدِّر له كذا وكذا من الطاعات، أو قدَّر له كذا وكذا من المعاصي ـ فهذا أخطأ ـ أيضًا ـ

ذلك أن قدر الله سر مكتوم ، لا يعلمه أحد من الخلق إلا بعد وقوعه ، وإرادة العبد سابقة لفعله ، فتكون إرادته غير مبنية على علم بقدر الله ، فادعاؤه مردود ، واحتجاجه باطل ؛ لأنه ادعاء لعلم الغيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، فحجته - إذاً - داحضة ؛ لأنه لا حجة للمرء فيما لا يعلم .

هذا وقد سبق تفنيد الاحتجاج بالقدر على المعائب مفصلاً فيما سبق(١) .

(٢) التخلي عن مساعدة المحتاجين والمنكوبين ؛ بحجة أن ما حل بهم إنما هو بمشيئة الله :

فمن الناس من يرى إخوانه المسلمين تنزل بهم النوازل ، وتحل بهم القوارع ، فلا يتحرك لنصرتهم ولاينبعث لمساعدتهم ، ولايحث غيره على ذلك ؛ بحجة أن ذلك إنما وقع بمشيئة الله ، وأنه لايسوغ لنا أن نساعدهم ، والله - عز وجل - يعاقبهم !

وكذلك ما يوجد عند بعض الناس إذا قيل لهم : أحسنوا إلى الفقراء والمحتاجين - قال قائلهم : كيف نحسن إليهم والله قد شاء لهم ذلك؟ الله يفقرهم وأنت تغنيهم ؟ أو يقول : إن الله لو شاء إغناءهم لأغناهم بدون مساعدتنا ورفدنا ! .

فهذا الكلام وأمثاله كلام باطل بلا ريب ، وهو يدل على جهل عظيم، أو تجاهل وخيم ؛ ذلك أن المشيئة ليست حجة لفعل المعاصي أو ترك الطاعات أبداً .

---

(١) انظر : ص ٨٩ - ٩٦ من هذا الكتاب .

ثم إن هذا جـهل بحكمـة الله ـ تبارك وتعـالى ـ ؛ حيث رفع بعض الناس على بعض ، وابتلى بعضهم ببعض ، ودفع بعضهم ببعض .

ثم إن المال مال الله ، ولو شاء لسلبك إياه يا من تقول هذا القول ، فهل سترضى حينئذ إذا اشتدت ضرورتك إلى ما تقيم به أودك ـ أن يقال لك مثل ما قلت ؟ فهـذا القول خطأ عظيم ، وضـلالة كبـرى ، وقـائلوه فيهم شَبَهٌ ممن قال الله ـ عز وجل ـ فيهم : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٤٧)** ﴾ [سورة يس ، الآية / ٤٧] .

(٣) ترك الأخذ بالأسباب بحجة التوكل على الله ، والتسليم لقضائه وقدره :

فـهناك من يترك الأخذ بالأسباب ، بحـجة أنه متـوكل على الله ، مؤمن بقضائه وقدره ، وأنه لايقع في ملكه شيء إلا بمشيئته .

وذلك كـحال بعض الصـوفية الذين يرون أن ترك الأخـذ بالأسباب أعلى مقامات التوكل .

فـهذا الأمـر مما عـمت به البلـوى ، واشـتدت به المحنة ، سـواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الأمة .

فـأمة الإسـلام مـرت بأزمـات كـثيرة ، وفـترات عـسيرة ، وكـانت تخرج منها بالتفكير المستنير ، والنظرة الثـاقبة ، والتصور الصـحيح ، فتبـحث في الأسبـاب والمسببات ، وتنظر في العـواقب والمقدمات ، ثـم بعـد ذلك تأخذ بالأسبـاب ، وتلج البيوت من الأبواب ، فتجتاز ـ بأمـر الله ـ تلك الأزمـات ، وتخـرج من تلك النكبـات ، فتعـود لهـا عزتهـا ،

ويرجع لـها سـالف مـجـدها ؛ هكذا كـانت أمـة الإسـلام في عـصـورها الزاهية .

أما في هذه العصور المتأخرة التي غشت فيها غواشي الجهل ، وعصفت فيها أعاصير الإلحاد والتغريب ، وشاعت فيها البدع والضلالات ـ فقد اختلط هذا الأمر على كثير من المسلمين ؛ فجعلوا من الإيمان بالقضاء والقدر تكأة للإخلاد إلى الأرض ، ومسوغاً لترك الحزم والجد والتفكير في معالي الأمور ، وسبل العزة والفلاح ، فآثروا ركوب السهل الوطيء الوبيء على ركوب الصعب الأشق المريء .

فكان المخرج لهم أن يتكل المرء على القدر ، وأن الله هو الفعال لما يريد ، وأن ما شاءه كان وما لم يشأه لم يكن ؛ فلتمض إرادته ، ولتكن مشيئته ، وليجرِ قضاؤه وقدره ، فلا حول لنا ولا طول ، ولا يدَ لَنا في ذلك كله .

هكذا بكل يسر وسهولة ، استسلام للأقدار دون منازعة لها في فعل الأسباب المشروعة والمباحة .

فلا أمر بالمعروف ، ولا نهي عن المنكر ، ولا جهاد لأعداء الله ، ولا حرص على نشر العلم ورفع الجهل ، ولا محاربة للأفكار الهدامة والمبادىء المضللة ، كل ذلك بحجة أن الله شاء ذلك !

والحقيقة أن هذه مصيبة كبرى ، وضلالة عظمى ، أدت بالأمة إلى هوة سحيقة من التخلف والانحطاط ، وسببت لها تسلط الأعداء ، وجرت عليها ويلات إثر ويلات .

وإلا فالأخذ بالأسباب لا ينافي الإيمان بالقدر ، بل إنه من

تمامه[1] ؛ فالله ـ عز وجل ـ أراد بنا أشياء ، وأراد منا أشياء ، فما أراده بنا طواه عنا ، وما أراده منا أمرنا بالقيام به ، فقد أراد منا حمل الدعوة إلي الكفار وإن كان يعلم أنهم لن يؤمنوا ، وأراد منا قتالهم وإن كان يعلم أننا سنهزم أمامهم ، وأراد منا أن نكون أمة واحدة وإن كان يعلم أننا سنتفرق ونختلف ، وأراد منا أن نكون أشداء على الكفار رحماء بيننا وإن كان يعلم أن بأسنا سيكون بيننا شديداً وهكذا . . .

فالخلط بين ما أريد بنا وما أريد منا ـ هو الذي يُلبس الأمر ، ويوقع في المحذور .

صحيح أن الله ـ عز وجل ـ هو الفعال لما يريد ، الخالق لكل شيء ، الذي بيده ملكوت كل شيء ، الذي له مقاليد السموات والأرض ، ولكنه ـ تبارك وتعالى ـ جعل لهذا الكون نواميس يسير عليها ، وقوانين ينتظم بها ، وإن كان هو ـ عز وجل ـ قادراً على خرق هذه النواميس وتلك القوانين ، وإن كان ـ أيضاً ـ لايخرقها لكل أحد .

فالإيمان بأن الله قادر على نصر المؤمنين على الكافرين ـ لايعني أنه سينصر المؤمنين وهم قاعدون عن الأخذ بالأسباب ؛ لأن النصر بدون الأخذ بالأسباب مستحيل ، وقدرة الله لا تتعلق بالمستحيل ولأنه منافٍ لحكمةِ الله ، وقُدْرَتُه ـ عز وجل ـ متعلقةٌ بحكمته .

فكون الله قادراً على الشيء لا يعني أن الفرد أو الجماعة أو الأمة قادرة عليه ؛ فقدرة الله صفة خاصة به ، وقدرة العبد صفة خاصة به ، فالخلط بين قدرة الله والإيمان بها وقدرة العبد وقيامه بما أمره الله به ـ هو

---

(١) انظر : ص ٨٣ ـ ٨٧ من هذا الكتاب .

الذي يحمل على القعود ، وهو الذي يخدر الأمم والشعوب [(١)] .

وهذا مالاحظه وألمح إليه أحد المستشرقين الألمان فقال وهو يؤرخ لحال المسلمين في عصورهم المتأخرة : « طبيعة المسلم التسليم لإرادة الله، والرضا بقضائه وقدره ، والخضوع بكل ما يملك للواحد القهار .

وكان لهذه الطاعة أثران مختلفان ؛ ففي العصر الإسلامي الأول لعبت دوراً كبيراً في الحروب ، وحققت نصراً متواصلاً ؛ لأنها دفعت في الجندي روح الفداء .

وفي العصور المتأخرة كانت سبباً في الجمود الذي خيم على العالم الإسلامي ، فقذف به إلى الإنحدار ، وعزله وطواه عن تيار الأحداث العالمية »[(٢)] .

(٤) ترك الدعاء بحجة أن الله يعلم حاجة العبد قبل أن يسأل ، وأنه لو شاء لأعطاه مسألته بغير سؤال ، وأنه لن يصيب العبد إلا ما كتب له :

فهناك من يستهين بشأن الدعاء ، ويرى أنه لاداعي له ، ولا جدوى من ورائه ؛ طالما أن الله ـ عز وجل ـ يعلم حاجة العبد ، وأنه لن يصيب العبد إلا ما قُدِّرَ له ، وربما قال قائلهم : لا حاجة لنا بالدعاء إذا نزل البلاء .

وهذا القول قول باطل ؛ لأنه مناف للإيمان بالقدر ، وتعطيل

---

(١) انظر : ص ٨٣ ـ ٨٧ من هذا الكتاب والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن الدوسري ص ١١٨ ـ ١٢٤ ، ومنهج القرآن في القضاء والقدر لمحسن الغريب ص ٤٢ ـ ٤٤ .

(٢) العلمانية للشيخ د. سفر الحوالي ص ٥١٩ نقلاً عن باول شمتز ، الإسلام قوة الغد العالمية ص ٧٨ .

للأسباب ، وترك لعبادة هي أكرم العبادات على الله ـ عز وجل ـ .

فالدعاء أمره عظيم وشأنه جلل ، فبه يرد القدر ، وبه يرفع البلاء ؛ فهو ينفع مما نزل ومما لم ينزل .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **ولايرد القدر إلا الدعاء** » (١) .

وقال : « **من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة ، وما سئل الله شيئاً يعطى ـ أحبَّ إليه من أن يسأل العافية ، إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، فعليكم عباد الله بالدعاء** » (٢) .

وقال : « **لايغني حذر من قدر ، وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة** » (٣) .

---

(١) أخرجه أحمد ٥/ ٢٧٧ ، وابن ماجه (٩٠) في المقدمة باب القدر ، والترمذي (١٣٩) القدر باب لايرد القدر إلا الدعاء ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧) ، وانظر الصحيحة (١٥٤) .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٨) وقال : « غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر القرشي ، وهو ضعيف في الحديث ، ضعفه بعض أهل العلم من قبل حفظه » ، وقال الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٩) : « حسن » ، وانظر المشكاة (٢٢٣٤) .

(٣) أخرجه الطبراني في الدعاء ٢/ ٨٠٠ (٣٣) والأوسط (٢٥١٩) والحاكم ١/ ٤٩٢ ، والبزار ـ كما في كشف الأستار للهيثمي ـ ٢/ ٢٩ رقم (٢١٦٥) من طريق زكريا بن منظور الأنصاري ، قال : حدثني عطاف الشامي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة . قال الحاكم : « هذا صحيح الإسناد » وتعقبه الذهبي بأن في سنده زكريا مجمع على ضعفه .
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٤٦ : « فيه زكريا بن منظور ، وثقه أحمد بن صالح المصري وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات» وقال الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩) : (حسن)وانظر المشكاة (٢٢٣٤) .
وأخرجه أحمد ٥/ ٢٣٤ ، والطبراني في الكبير ٢٠/ ١٠٣ برقم (٢٠١) من طريق شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل بنحوه .
وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ١٤٦ : وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ ، ورواية إسماعيل بن عياش عن أهل الحجاز ضعيفة .

وربما استشهد بعض من يترك الدعاء ـ كبعض الصوفية ـ بحديث : «**حسبي من سؤالي علمه بحالي** » .

وهذا الحديث باطل لا أصل له ، تكلم عليه العلماء ، وبينوا بطلانه .

فقد ذكره البغوي في تفسير سورة الأنبياء مشيراً إلى ضعفه فقال : «وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم قال ـ حين أوثقوه ؛ ليلقوه في النار ـ : «لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك ، لا شريك لك ، ثم رموا به في المنجنيق إلى النار ، واستقبله جبريل فقال : يا إبراهيم، لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا ، قال جبريل: فاسأل ربك، فقال إبراهيم: **حسبي من سؤالي علمه بحالي**»(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث : « وأما قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي ـ فكلام باطل ، خلاف ما ذكره الله عن إبراهيم الخليل وغيره من الأنبياء، من دعائهم لله ، ومسألتهم إياه ، وهو خلاف ما أمر الله به عباده من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة»(٢) .

وقال الشيخ الألباني عن هذا الحديث : « لا أصل له ؛ أورده بعضهم من قول إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ، وهو من الإسرائيليات، ولا أصل له في المرفوع » (٣) .

---

(١) تفسير البغوي معالم التنزيل ٥ / ٣٤٧ .

(٢) مجموع الفتاوى ٨ / ٥٣٩ .

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٢٨ (٢١) .

وقال بعد ذلك عن الحديث : « وقد أخذ هذا المعنى بعضُ من صنَّف في الحكمة على الطريقة الصوفية فقال : سؤالك منه - يعني الله تعالى - اتهام له»[٤] .

ثم قال - حفظه الله - تعليقًا على تلك المقولة : « هذه ضلالة كبرى ؛ فهل كان الأنبياء - صلوات الله عليهم - مُتَّهمين لربهم حين سألوه مختلف الأسئلة ؟ »[١] .

(٥) الدعاء ب : « اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف بي » .

فهذا الدعاء يجري كثيراً على الألسنة ، وهو دعاء لا ينبغي ؛ لأنه شرع لنا أن نسأل الله رد القضاء إذا كان فيه سوءٌ .

ولهذا بوب الإمام البخاري - رحمه الله باباً في صحيحه قال فيه : «باب من تعوذ بالله من درك الشقاء ، وسوء القضاء ، وقوله - تعالى - : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢)** ﴾ [سورة الفلق ، الآيتان / ١ - ٢] .

ثم ساق قول النبي ﷺ : « **تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وسوء القضاء** »[٣] .

(٦) قول : شاءت الظروف ، أو شاءت الأقدار كذا وكذا :

فهذه من الألفاظ التي لا تنبغي ؛ لأنه ليس للظروف ولا الأقدار

---

(١) المرجع السابق ١ / ٢٩ .

(٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة ١ / ٢٩ .

(٣) البخاري ٧ / ٢١٥ كتاب القدر .

مشيئة .

وقد سئل الشيخ العلامة محمد ابن عثيمين - حفظه الله - عن هذه الألفاظ فقال : « شاءت الأقدار ، وشاءت الظروف ألفاظ منكرة ؛ لأن الظروف جمع ظرف ، وهو الزمن ، والزمن لا مشيئة له ، وكذلك الأقدار جمع قدر ، والقدر لا مشيئة له .

وإنما الذي يشاء هو الله - عز وجل - نعم لو قال الإنسان : اقتضى قدر الله كذا وكذا فلا بأس ، أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار ؛ لأن المشيئة هي الإرادة ، ولا إرادة للوصف ، وإنما هي للموصوف »[1] .

(٧) قول : « ما شاء الله وشاء وفلان » :

فهذا القول شرك بالله - عز وجل - ؛ لوجود التسوية في العطف بالواو ؛ فمن سوَّى العبد بالله - ولو في الشرك الأصغر - فقد جعله نداً لله - عز وجل - ؛ لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - « أن رجلاً قال للنبي ﷺ : **ما شاء الله وشئت ، فقال : أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده** »[2] .

ولقوله ﷺ : « **لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان** » [3] .

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين ٣ / ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) أخرجه أحمد ١ / ٢١٤ و ٢٢٤ و ٢٨٣ ، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد للبخاري (٧٨٣) .

(٣) أخرجه أحمد ٥ / ٣٨٤ و ٣٩٤ ، وأبو داود (٤٩٨٠) ، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٧) في سنده : « وهذا سند صحيح » .

ومن هنا يتبين لنا أنه لا يجوز أن يقال : ما شاء الله وشاء وفلان ، وإنما يقال : ما شاء الله ثم شاء فلان .

والأولى من ذلك أن يقال : ما شاء الله وحده ؛ لأن فيه التصريحَ بالتوحيد المنافي للتنديد من كل وجه ، والبصير يختار لنفسه أعلى مراتب الكمال في مقام التوحيد والإخلاص (١) .

٨ الجزم بفعل الشيء أو وقوعه في المستقبل دون تقييد ذلك بالمشيئة :

كحال من يقول : سأفعل كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، دون أن يقيد ذلك بالمشيئة .

فهذا خطأ ينبغي للمسلم تجنبه ؛ لقوله تعالى : ﴿ **وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ** ﴾ [سورة الكهف ، الآيتان / ٢٣ـ٢٤] .

وقل مثل ذلك في حق من يجزم بوقوع الأمر الفلاني وفي ذلك في اليوم الفلاني دون تقييد لذلك بالمشيئة .

٩ قول : إن الله على ما يشاء قدير إذا قام بالقلب أن الله لا يقدر إلا على ما يشاؤه فحسب :

وقد أشار إلى خطأ هذا التعبير بعض العلماء منهم الشيخ العلامة عبد الرحمن بن حسن ـ رحمه الله ـ .

يقول المؤرخ عثمان بن بشر ـ رحمه الله ـ : « كتب له مرة ـ يعني عبد الرحمن بن حسن ـ ودعوت له في آخر الكتاب ، وقلت في ختام الدعاء : إنه على ما يشاء قدير .

(١) انظر : فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن ص ٦١٢ .

فكتب إليَّ وقال في أثناء جوابه : إن هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد ، وهو قول الكثير إذا دعا الله ـ تعالى ـ (وهو القادر على ما يشاء) ، ويقصد بها أهل البدع شراً، وكل ما في القرآن «وهو على كل شيء قدير » ، وليس في القرآن والسنة ما يخالف ذلك أصلاً ؛ لأن القدرة شاملة كاملة ، وهي والعلم صفتان شاملتان ، تتعلقان بالموجودات والمعدومات ، وإنما قصد أهل البدع هو القادر على ما يشاء ، أي أن القدرة لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة » (١) .

وقال الشيخ العلاَّمة محمد بن إبراهيم ـ رحمه الله ـ في جواب له عن هذا التعبير : « الأولى أن لا يطلق ، ويقال : إن الله على كل شيء قدير ؛ لشمول قدرة الله ـ جل جلاله ـ لما يشاؤه ولما لا يشاؤه » (٢) .

وقال الشيخ الدكتور بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ : « فإن إطلاق هذا اللفظ له حالتان : الأولى على وجه العموم ، فهذا ممتنع لثلاثة وجوه :

١ ـ لأن فيها تقييداً لما أطلقه الله .

٢ ـ لأنه موهم بأن ما لا يشاؤه لا يقدر عليه .

٣ ـ لأنه موح بمذهب القدرية .

والحالة الثانية على وجه التقييد كما ذكر » (٣) ، أي يجوز مقيداً بأفعال معينة .

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد ٢ / ٢٢ .

(٢) فتاوى محمد بن إبراهيم ١ / ٢٠٧ .

(٣) معجم المناهي اللفظية للشيخ بكر أبو زيد ص ٣٣١ .

والأظهر ـ والله أعلم ـ أن هذا التعبير ـ إن الله على ما يشاء قدير ـ تعبير صحيح ولا يعد خطأ ، إلا إذا قام بقلب القائل أن قدرة الله لا تتعلق إلا بما تعلقت به المشيئة ، مع أن الأولى أن يقال : إن الله على كل شيء قدير ؛ لما سبق .

ومما يدل على صحة هذا التعبير ـ ما جاء في مسند الإمام أحمد وصحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه ، ولفظ أحمد : « ولكني على ما أشاء قدير »[١] ، ولفظ مسلم « ولكني على ما أشاء قادر »[٢] كلاهما من طريق عفان بن مسلم عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ * .

(١٠) قلة اليقين بأن العاقبة للتقوى وللمتقين :

فهناك من إذا شاهد ما عليه المسلمون من الضعف والتمزق ، والتشتت والتفرق ، ورأى تسلط أعدائهم عليهم ، ونكايتهم بهم ـ آيس

---

(١) المسند ١ / ٤١١ .

(٢) مسلم ١ / ١٧٥ رقم (١٨٧) .

* علق سماحة الشيخ الوالد عبد العزيز بن باز ـ حفظه الله ـ على ذلك بقوله : « ليس القول بأن الله على ما يشاء قدير يعتبر خطأ ، بل هو جائز ، كما في قوله ـ سبحانه ـ في سورة الشورى : ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الشورى ، الآية / ٢٩] . ولكن إطلاق ذلك أفضل ؛ لأنه هو الواقع في أغلب الآيات مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة البقرة ، الآية/ ١٠٩] ، وقوله ـ سبحانه ـ ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا ﴾ [سورة الكهف ، الآية / ٤٥] وغيرها من الآيات المطلقة . والله ولي التوفيق » .

من نصر الله ، وقنط من عز الإسلام ، واستبعد أن تقوم للمسلمين قائمة وظن أن الباطل سيدال على الحق إدالة دائمة مستقرة يضمحل معها الحق .

فهذا الأمر جد خطير ، وهو مما يعتري النفوس الضعيفة ، التي ضعف إيمانها ، وقل يقينها .

فهذا مما ينافي الإيمان بالقدر ، وهو دليل على قلة الإيمان بوعد الله الصادق ، والتفات إلى الأمور المحسوسة دون نظر إلى عواقب الأمور وحقائقها .

وإلا كيف يظن هذا الظن والله ـ عز وجل ـ قد كتب النصر في الأزل ، وسبقت كلمته بأن العاقبة للتقوى وللمتقين ، وأن جنده هم الغالبون ، وهم المنصورون ، وأن الأرض يرثها عباده الصالحون ؟

فمن ظن تلك الظنون السيئة فقد ظن بربه السوء ، ونسبه إلى خلاف ما يليق بجلاله ، وكماله ، وصفاته ، ونعوته ؛ فإن حمده ، وعزته ، وحكمته ، وإلٰهيته تأبى ذلك ، وتأبى أن يذل حزبه وجنده ، وأن تكون النصرة والغلبة للمشركين .

فمن ظن ذلك فما عرفه ، ولا عرف ربوبيته وملكه وعظمته ؛ فلا يجوز في حقه ـ عز وجل ـ لا عقلاً ولا شرعًا أن يظهر الباطل على الحق ، بل إنه يقذف بالحق على الباطل فإذا هو زاهق [1] .

أما ما يشاهد من تسلط الكفار واستعلائهم ـ فإنما هو استعلاء

(١) انظر : حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

استثنائي، وذلك استدراجًا وإملاءً من الله لهم، وعقوبة للأمة المسلمة على بعدها عن دينها.

ثم إن سنة الله ماضية فـ ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ [سورة النساء، الآية/ ١٢٣]. وهذه الأمة تذنب، فتعاقب بذنوبها عقوبات متنوعة منها ما مضى ذكْرُه؛ كي تعود إلى رشدها، وتؤوب إلى ربها، فتأخذ حينئذ مكانها اللائق بها.

ثم إن هذه الأمة أمة مرحومة تعاقب في هذه الدنيا، حتى يخف العذاب عنها في الآخرة، أو يغفر لها بسبب ما أصابها من بلاء.

(١١) استطلاع المستقبل عند الكهان والمنجمين:

فالذهاب للكهان والمنجمين، واستطلاع المستقبل عندهم، والأخذ بكلامهم، وتصديقهم فيما يخبرون به ـ كل ذلك ضلال في باب القدر؛ لأن القدر غيب، والغيب علمه عند الله ـ وحده ـ.

وكذلك الحال بالنسبة لمن يصدقون بتأثير الأسماء والأبراج، فيما يجري للإنسان في حياته.

فهذا مناف للإيمان بالقدر، وتكذيب بما أنزل الله على محمد ﷺ(١).

(١٢) التَّألِّي على الله ـ عز وجل ـ:

والتَّألِّي على الله هو الإقسام عليه ـ عز وجل ـ كأن يقول شخص لآخر: والله لا يغفر الله لك.

---

(١) انظر: ص ٥٧ من هذا الكتاب.

فهذه المقولة قد تصدر من بعض من ينتسب إلى الخير ، ممن قل فقهه وعلمه ، فتراه ـ مثلاً ـ يحرص على دعوة عاص من العصاة ، فإذا رأى منه إعراضًا عن النصح ، وصدودًا عن الخير ، وتمادياً في المعاصي ـ أيس منه ، وأقصر عن نصحه ، وربما قال له : والله لا يغفر الله لك ، هكذا بصيغة الجزم .

وهذه المقولة خطيرة ، ولها آثار وخيمة ؛ فهي سبب لحبوط العمل ، وهي مما يتنافى مع الإيمان بالقدر ؛ ذلك أن الهداية بيد الله ، والخواتيم علمها عند الله .

فمن ذا الذي أخبر هذا القائل بأن الله لا يغفر لهذا العاصي ؟ وما الذي سوغ له أن يحجر رحمة الله ـ عز وجل ـ ؟ !

ولهذا جاء في صحيح مسلم عن جندب ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ حدَّث : « **أن رجلا قال : والله لا يغفر الله لفلان ، وأن الله ـ تعالى ـ قال : من ذا الذي يتألى عليَّ أن لا أغفر لفلان ؟ فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عملك** » (١) .

ومعنى يتألى عليَّ : أي يقسم ويحلف علي ، والأليَّه بالتشديد هي الحلف (٢) .

(١٣) الاعتراض على الأقدار :

فما أكثر الاعتراض على الأقدار ، وما أكثر المعترضين عليها ، وما أقل التسليم لها ، وما أقل المسلِّمين لله فيها .

---

(١) مسلم كتاب البر والصلة (٢٦٢١) .

(٢) انظر : تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله ص ٧٢٤ ، وفتح المجيد ص ٧٢٦ ـ ٧٢٧ ، وحاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ص ٣٨٨ ـ ٣٨٩ .

ومن صور الاعتراض على الأقدار قول بعضهم إذا أصيب بمصيبة : ماذا فعلت ياربي ؟ أو أنا لا أستحق ذلك !

وكذلك ما يقال إذا أصيب شخص بمصيبة : فلان مسكين لا يستحق ما جرى له ، لقد ظلمته الأقدار ، وجارت في حقه وقست عليه!

فمثل تلك الأقوال مما يكثر على الألسنة ، وذلك من الاعتراض على قدر الله ، ومن الجهل بحكمته ـ عز وجل ـ فلا يجوز إطلاقها ؛ لأن لله ما أخذ وله ما أعطى ، وله الحكمة البالغة في شرعه ، وخلقه ، وفعله ﴿ **لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ** (٢٣) ﴾ [سورة الأنبياء ، الآية/ ٢٣] .

(١٤) قول كلمة «لو» عندما تحل المصيبة :

وذلك إذا كان الحامل عليها الحزن والضجر ، وضعف الإيمان بالقدر .

كحال من يقول إذا نزلت به مصيبة ، كخسارة مال ، أو تلف زرع ، أو فقد أنفس أو غير ذلك . . .

يقول : لو أني فعلت كذا وكذا لما كان كذا وكذا ، أو لكان كذا وكذا .

فهذه المقولة خطأ وخطل ، وسفه وجهل ، ونقص في العقل ؛ ذلك أن العبد مأمور عند المصائب بالصبر ، والاسترجاع ، والتوبة ، وقول «لو» لا يجدي عليه إلا الحزن والتحسر ، مع ما يخاف على

توحيده من نوع المعاندة للقدر الذي لا يكاد يسلم منها من وقع منه هذا إلا ما شاء الله (١) .

ولهذا نعى الله ـ عز وجل ـ على المنافقين مقولتهم : ﴿ **لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية / ١٥٤] ، ومقولة : ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية / ١٦٨] . فرد الله عليهم وعلى أمثالهم بقوله : ﴿ **قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية / ١٦٨] .

هذا وقد أرشدنا النبي ﷺ إذا أخذنا بالأسباب ، وحرصنا على ما ينفعنا ، وأتت الأمور على خلاف ما نريد ـ ألا يقول أحدنا : « **لو أني فعلت كذا وكذا** » **ولكن يقول : قدر الله وما شاء فعل ؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان** »(٢) .

ففي هذا الحديث ملمح من ملامح الكمال في الشريعة ؛ فالإسلام ينأى بالمسلم أن يسترسل مع أحزانه ، ويَرْبَأ به أن يعيش على اجترار ماضيه ؛ لأن ذلك لا يجدي عليه شيئاً ، كما أنه يرشده إلى ما هو أنفع وأولى وهو التعزِّي بالقدر ، والسعي فيما ينفع مستقبلاً .

(١٥) قول كلمة « ليت » كذلك :

وهي من جنس كلمة « لو » فهما لا يجديان بعد حصول الأمر المقدر ، بل حينئذ التسليم لله والإيمان به ، والتعزي بقدره ، مع حسن

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٦٦١ ، والقول السديد لابن سعدي ص ١٧٢ ـ ١٧٣ .
(٢) رواه مسلم (٢٦٦٤) .

الظن به ، والرغبة في ثوابه ؛ فذلك عين الفلاح في الدنيا والآخرة [١] .

وصدق من قال :

ليت شعري وأين مني ليت ... إن ليتاً وإن لواً عناء[٢]

وما أجمل قول نابغة بني جعدة :

خليليَّ عوجا ساعةً وتَهَجَّرا ... ولو ما على ما أحدث الدهرُ أو ذرا

ولا تجزعا إن الحياة قصيرةٌ ... فَخِفَّا لروعات الحوادث أو قِرا

وإن جاء أمرٌ لا تطيقان دَفْعَه ... فلا تجزعا مما قضى اللهُ واصبرا

أَلَمْ تريا أن الملامةَ نَفْعُها ... قليلٌ إذا ما الشيءُ ولى وأدبرا

تهيج البكاء والندامةَ ثم لا ... تُغَيِّر شيئاً غير ما كان قُدِّرا [٣]

(١٦) القيام بفعل ما يشعر بالاعتراض على الأقدار :

كفعل بعض الجهال عند المصيبة من شق الجيوب ، ولطم الخدود ، والنياحة ، وحلق الشعر ، والدعاء بالويل والثبور ، وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى التي تنافي الإيمان بالقدر والتسليم لله ـ عز وجل ـ [٤] .

(١٧) الحسد :

فالحسد داء عضال ، وسمٌّ قتَّال ، لا يسلم منه إلا من سلمه الكبير

(١) انظر : تيسير العزيز الحميد ص ٦٦٢ .
(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ١/ ١٢٧ .
(٣) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص ٣٥٧ .
(٤) انظر : عدة الصابرين لابن القيم ص ١٣١ ـ ١٣٩ و ٣٢٥ .

المتعال .

ولهذا قيل : « لا يخلو جسد من حسد ، ولكن اللئيم يبديه ، والكريم يخفيه »(١) .

والحسد هو تمني الحاسد زوال نعمة المحسود .

والحسد في حقيقته إنما هو اعتراض على قدر الله ؛ لأن الحاسد لم يرض بقضاء الله ، ولم يُسلِّم لقدره ـ عز وجل ـ .

فلسان حال الحاسد يقول : إن فلاناً أعطي وهو لا يستحق ، وفلاناً منع وهو يستحق العطاء .

فكأنه بحسده هذا يقسم رحمة ربه بين العباد ، وكأنه يقترح على ربه ما يراه ملائمًا في نظره ! فهو بصنيعه هذا يقدح في حكمة الله ـ عز وجل ـ ووضعِه الأشياءَ في مواضعها اللائقة بها ؛ فمن تمام الإيمان بالقدر ترك الحسد ، والتسليم لله في جميع الأمور ؛ فالمؤمن الحق لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله ؛ لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم ، وقدر لهم معايشهم ؛ فأعطى من شاء لحكمة ، ومنع من من شاء لحكمة ، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على قدر الله ، ويقدح في حكمته .

ولهذا قيل : « من رضي بقضاء الله لم يسخطه أحد ، ومن قنع بعطائه لم يَدْخُلْه حسد »(٢) .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠ / ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ٢٦٩ .

(١٨) تمني الموت :

فهناك من إذا ابتلي ببلاء ، واشتدت به اللأواء ـ تمنى الموت ؛ ليتخلص ـ بزعمه ـ مما أَلَمَّ به ! كما قال أحدهم :

ألا موت يباع فأشتريه   فهذا العيش ما لا خير فيه

فهذا خطأ ، فلا يجوز للمؤمن أن يتمنى الموت ؛ فإن كان لا بد متمنيًا للموت فليدعُ بالدعاء المأثور في ذلك .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنياً للموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاةخيراً لي** » (١) .

(١٩) الإقدام على قتل النفس ـ الانتحار ـ :

فهناك من إذا ضافته الغموم ، وحضرت رحلَه الهمومُ ، ولم يجد من كربه متنفسًا ، ولا من مضايقه مخرجاً ـ أقدم على قتل نفسه ؛ رغبة في الخلاص من الدنيا ، والراحة من عنائها ولأوائها .

فهذا الصنيع مناف للإيمان بالقدر ، والتسليم لله ـ عز وجل ـ في كل أمر ، وهو من الأمور التي حرمها الله ، وحذَّر من فعلها ، وتوعد مرتكبها بالوعيد الشديد ، قال ـ تعالى ـ : ﴿ **وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩) وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا** ﴾ [سورة النساء، الآيتان / ٢٩ـ ٣٠] .

ثم إن الذي يقدم على هذه الفعلة ـ إنما أقدم عليها ؛ رغبة في

(١) رواه البخاري (الفتح) ١١ / ١٥٤ (٦٣٥١) .

الراحة ، والخلاص من العناء ـ بزعمه ـ !

فمن أوحى إليه أنه سيجد الراحة وسيتخلص من العناء ، وهذا الوعيد الشديد بانتظاره إذا هو أقدم على تلك الفعلة ؟

(٢٠) التسخط بالبنات :

فبعض المسلمين ـ هداه الله ـ إذا رزقه الله بنتاً تسخط بها ، وضاق ذرعاً بمقدمها .

فهذا الصنيع ـ ولا شك ـ من أعمال الجاهلية الأولى ، وأخلاق أهلها الأجلاف ، الذين ورد ذمهم ، والتشنيع عليهم في الكتاب والسنة .

وما أشبه الليلة بالبارحة ؛ فلو زرت مستشفى للولادة في بلاد المسلمين ، وقلبت طرفك في وجوه الحاضرين ممن ولد لهم بنات ، وراقبت كلامهم ، وسبرت أحوالهم ـ لرأيت توافقًا عجيبًا ، وتطابقًا غريبًا بين حال كثير من هؤلاء وحال أهل الجاهلية الذين قص الله ـ تبارك وتعالى ـ علينا خبرهم ، وأنهم ﴿ **وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)** ﴾ [سورة النحل ، الآيتان/ ٥٨ ـ ٥٩] [١] .

ومن مظاهر التسخط بالبنات أن يكتشف في بعض المستشفيات ما برحم المرأة من ذكر أو أنثى ، وذلك عبر الأشعة الصوتية ، فإن كان ذكراً

---

(١) انظر : صون المكرمات برعاية البنات لجاسم الفنيا لا يسري ص ١٦ .

بَشَّرُوا ، وإن كان أنثى أقصروا ! وهذا الأمر جد خطير ، ويترتب عليه عدة محاذير ، منها :

أ - أنه اعتراض على قدر الله - عز وجل - .

ب - أنه رد لهبته - سبحانه وتعالى - بدلاً من شكرها ، وكفى بذلك مقتاً وتعرضاً للعقوبة .

جـ - أن فيه إهانةً للمرأة ، وحطاً من قدرها ، وتحميلاً لها ما لا تطيق .

د - كما أنه دليل على السفاهة والجهل ، والحماقة وقلة العقل .

هـ - كما أن فيه تشبهاً بأخلاق أهل الجاهلية (١) .

فما أجدر بالمسلم أن يتجنب تلك المسالك ، وأن ينجو بنفسه من تلك المهالك ؛ فالتسليم لقدر الله أمر واجب ، والرضا به من صفات المؤمنين .

ثم إن فضل البنات لا يخفى ؛ فهن الأمهات ، وهن الأخوات ، وهن الزوجات ، وهن نصف المجتمع ويلدن النصف الآخر ؛ فكأنهن المجتمع بأكمله (٢) .

ومما يدل على فضلهن أن الله - عز وجل - سمى إتيانهن هبةً ، وقدمهن على الذكور في قوله - تعالى - : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ

(١) انظر : تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم ص ١٦ .

(٢) انظر : عودة الحجاب د : محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم القسم الثاني ، المرأة بين تكريم الإسلام وإهانة الجاهلية .

لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [سورة الشورى ، الآية / ٤٩] .

وكذلك الرسول ﷺ بين فضلهن وحث على الإحسان إليهن كما في قوله : « **من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن ـ كن له ستراً من النار** »[١] .

ولقد أحسن من قال :

حبذا من نعمة اللـــــه	**البنات الصالحـــاتُ**
هن للأنس وللنســـــ	**ـــل وهن الشجــرات**
وبإحســان إليهـــــ	**ـنْ تكـون البركـات**[٢]

(٢١) القول : بأن إرادة الشعب من إرادة الله :

سئل الشيخ عبد الرحمن الدوسري ـ رحمه الله ـ عن هذا الإطلاق فأجاب قائلاً :

« هذا افتراء عظيم تجرأ به على الله بعض فلاسفة المذاهب ومنفذيها جرأة لم يسبق لها مثيل في أي محيط كافر في غابر القرون ؛ إذ غاية ما قص الله عنهم التعلق بالمشيئة بقولهم : ﴿ **لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ١٤٨] . فكذبهم الله ، وهؤلاء جعلوا الشعب الموهوم ـ إرادة الأمر ـ لتبرير خططهم التي ينفذونها ، ويلزم هذا الإفك إفساد اللوازم المبطلة له ، والدافعة لمن قاله ؛ إذ على قولهم الفاسد يكون للشعب أن يفعل ما شاء ويتصرف في حياته تصرف

(١) رواه البخاري (١٤١٨) مع الفتح ، ومسلم (٢٦٢٩) .
(٢) انظر : صون المكرمات ص ٢٧ .

من ليس مقيداً بشريعة وكتاب ، بل على وفق ما يهواه ، وعلى أساس المادة والشهوة ، والقوة ، كالشعوب الكافرة التي لا تدين بدين يقبله الله، ولا ترعى خلقًا ولا فضيلة .

فهذا الإفك العظيم لم يجرؤ عليه أبو جهل ومن على شاكلته مع خبثه وعناده ؛ لأن قبحه معروف ببداهة العقول ؛ حيث إن أذواق الشعوب ونزعاتها تختلف ، فإذا جعلت إرادة الشعب من إرادة الله صارت نزعات الوجودية ، والشيوعية ، والنازية ، والصهيونية ، ووحشية الغاب وغيرها ـ من إرادة الله التي أمر بها ، وصار كل ما تهواه النفوس الشريرة ، ويعشقه مرضى القلوب من التهتك ، والانحلال ، ومعاقرة الخمر ، ودغدغة الغرائز ، وإشباع الشهوات على حساب الغير ـ من أمر الله .

فعلام ينتقدون غيرهم ، ويصيحون عليه إذا كانت إرادة الشعوب ورغباتها من إرادة الله في حكمه الذي يرتضيه ؟ ولأي شيء يرسل الله الرسل ، وينزل الكتب ، ويشرع الجهاد ، والأمر والنهي على الناس إذا كانت إرادتهم من إرادته التي يرتضيها ؟ .

هذا هو عين المحال ، ومنتهى الفجور والضلال ، والذين تزعموا هذا الإفك لا يطبقونه على أنفسهم ، بل يسمحون لها بغزو الشعب الذي لايخضع لسلطانهم ، ولا يسير وفق أهدافهم .

فكأن الشعب الذي يحكمونه هم بقوة الحديد والنار هو الشعب الذي إرادته ألوهيةٌ من إرادة الله .

والباطل لا بد أن يتناقض ، وينادي على نفسه بالبطلان ، فقد أشركوا بالله شركًا عظيمًا ؛ إذ جعلوا الشعب ندًا من دون الله ، وأهواءه أندادًا لشريعته وحكمه ، بدلاً من أن يكون محتكمًا إلى الله ، ملتزمًا لحدوده ، متكيفًا بشريعته ، منفذًا لها »[1] .

(٢٢) قول بعض العامة : « هذه طشة ما وزنت » :

ويعنون بذلك المطر ، فإذا ازداد تهطاله ، وحصل الضرر من جراء ذلك قال بعضهم : « هذه طشة ما وزنت » !

فهذا التعبير تعبير خاطىء ، ومناف للإيمان بالقدر ؛ إذ كيف يظن أن قطرة مطر نزلت من السماء لم توزن ؟! والله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ (٢١)﴾ [سورة الحجر ، الآية / ٢١] ، ويقول : ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)﴾ [سورة المؤمنون ، الآية / ١٨] ، ويقول : ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد، الآية / ٨] .

(٢٣) قول بعضهم : إن العقرب تسابق القدر والحية مأمورة :

فبعض العامة يطلق هذا القول ، ويُفَرِّعُ عليه أقوالاً أخر ، فيقول : إذا مرت بك العقرب وأنت تصلي ، أو كنت قاعدًا في مكان ما ـ فاقطع الصلاة، وقم من مكانك ، واحترز منها ؛ لأن غائلتها لا تؤمن ؛ فهي تسابق القدر!

بخلاف ما إذا مرت بك الحية ، فلا تقطع الصلاة إن كنت تؤديها ،

---

(١) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ص ٧٧ ـ ٧٨ .

ولا تتحرك من مكانك إن كنت جالسًا أو مستلقيًا ، فلا تحترز منها بل دعها ؛ فإنها مأمورة !

وهذا الكلام باطل مردود ؛ فقولهم : إن العقرب تسابق القدر قول باطل مخالف لما جاء بالكتاب والسنة ، ولما تقرر بالعقل والإجماع من أنه لا يقع شيء إلا بقدر الله ـ عز وجل ـ وقد مرت بنا الأدلة قريبًا . فما الذي يخرج العقرب من عموم قدر الله ـ عز وجل ـ وأخذِه بناصية كل دابة ؟! .

بل إنه قد ورد النص بأن القدر لا يسبقه شيء ، ولو كان شيء سابقة سبقته العين .

قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « **العين حق ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين** » (١) .

ثم إن قولهم : إن الحية مأمورة لا شك في ذلك ، أما ألا نحترز منها ؛ بحجة أنها مأمورة ـ فهذا كلام باطل مخالف لتمام الإيمان بالقدر ؛ لأن من تمامه الأخذَ بالأسباب ، والتحرزُ من الحية من جملة الأسباب التي أمرنا بتعاطيها والأخذ بها ، وإلا فكل شيء بأمر الله فهل نترك الأسباب بالكلية؟ (٢) .

---

(١) رواه مسلم في السلام (٢١٨٨) .

(٢) علق سماحة الشيخ عبد العزيز ـ حفظه الله ـ على ذلك فقال : « ولهذا صح عن النبي ﷺ أنه قال : « اقتلوا الأسودين في الصلاة الحية والعقرب » ، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : « خمس من الدواب كلهن فواسق، يقتلن في الحل والحرم . ذَكَرَ منها العقربَ . وفي رواية لمسلم ذكر الحية » البخاري ٢ / ٢١٢ ، ومسلم ١/ ٨٥٨ (١٢٠٠) .

(٢٤) قول بعضهم إذا سمع بوفاة شخص : هل مات بسبب أم قضاءً وقدراً ؟

فهذا خطأ ، ذلك أن الموت بسبب أو بغير سبب كله بقضاء الله وقدره .

وكان الأولى أن يقال : هل مات بسبب أم بغير سبب ؟ أو هل مات بسبب ظاهر أم بسبب غير ظاهر ؟ .

(٢٥) قول بعضهم عند التعزية : البقية في حياتك :

فمن الناس من إذا أراد التعزية في الميت قال : البقية في حياتك ، أو البقاء لك ، أو لك طول العمر ، أو ما شابه ذلك .

وهذا خطأ ، فأي بقية بقيت والله عز وجل يقول : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [سورة الأعراف ، الآية / ٣٤] .

فالميت يموت وقد استوفى أجله تمامًا ، ولم يتقدم ولم يتأخر فأين تلك البقية ؟

ثم إن في ذلك مخالفة للسنة في التعزية ، فالسنة أن يقال : لله ما أخذ ولله ما أعطى ، أو أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك ، وغفر لميتك وهكذا . . . . (١) .

---

(١) انظر : الكلمات المخالفة وآفات اللسان ص ٢٦ .

الفصل الثاني

الضلال في باب القدر

وتحته ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : أول من أنكر القدر في هذه الأمة .

المبحث الثاني : الفرق التي ضلت في باب القدر .

المبحث الثالث : قصص ومحاورات مع القدرية .

المبحث الأول

أول من أنكر القدر في هذه الأمة

كما مر معنا أن الإيمان بالقدر أمر فطري ، وأنه لم يكن في العرب لا في جاهليتها ولا في إسلامها من ينكر القدر ، وعندما دخلت كتب الفلسفة اليونانية ، والهندية إلى بلاد المسلمين ـ ظهرت بدعة القدرية التي تعد أول شرك وقع في الإسلام ، وكان أول ظهورها في دمشق ، والبصرة ، ولم تظهر في مكة ، ولا المدينة ؛ لانتشار العلم ، وقد ظهرت في أواخر عهد صغار الصحابة كابن عباس ، وابن عمر ، ـ رضي الله عنهما ـ .

وتكاد مصادر أهل السنة والجماعة تجمع على أن أول من تكلم بالقدر رجل من أهل البصرة يعمل بقالاً يُقال له : « سنسويه » وبعضهم يسميه « سيسويه » وبعضهم يسميه « سوسن» ، ثم تلقفها عنه معبد الجهني ، وأخذها عن معبد غيلانُ الدمشقي .

قال الأوزاعي ـ إمام أهل الشام ـ : « أول من نطق في القدر رجل من أهل العراق ، يقال له : « سوسن » كان نصرانيًا فأسلم ، ثم تنصر ، فأخذ عنه معبد الجهني ، وأخذ غيلان عن معبد » (١) .

وكان معبد الجهني في البصرة ، وغيلان في دمشق ، ولم يكونا

(١) الشريعة للآجري ص ٢٤٣ ، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤ / ٧٥٠ .

على حالة واحدة ، فمعبد كان صاحب علم ، لكنه وقع فيما وقع فيه المغضوب عليهم ، أما غيلان فلم يكن من أهل العلم ، وإنما تلقى هذه المقالة فنشرها فوقع فيما وقع فيه الضالون .

وكانت الشبهة عندهم في البداية أنهم أرادوا تنزيه الله عن الشر ، وعن خلق المعاصي ، فوقعوا في نفي القدر .

وقد أنكر الصحابة الأحياء في ذلك الوقت تلك المقالة ، واشتد نكيرهم كابن عمر ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وجابر بن عبد الله ، ـ رضي الله عنهم ـ [1] .

وبعد غيلان ومعبد ظهر رؤوس الاعتزال كواصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، فتلقوا تلك المقالات ، ونشروها .

وقد أطلق العلماء على هذه الفرقة التي تنفي القدر اسم «القدرية» ، وسموهم مجوس هذه الأمة ؛ لأن المجوس ـ الثنوية ـ يقولون بالأصلين : النور والظلمة ، يقولون : إن للكون إلهين : إله النور ، وهو خالق الخير ، وإله الظلمة ، وهو خالق الشر ، وكذلك القدرية ، فهم يزعمون أن العباد يخلقون أفعالهم ، فهم يرون أن الله خلق الإنسان ، وأن الإنسان يخلق فعله ، وبهذا أثبتوا خالقَين ، بل خالقينَ ، فجعلوا لله شركاء في خلقه ، فأشبهوا المجوس بذلك .

ومن هؤلاء من غلا ونفى علم الله ـ عز وجل ـ .

---

(١) انظر : السنة للإمام عبد الله بن أحمد ٢ / ٤٢٠ ـ ٤٢١ ، الحجة في بيان المحجة ، وشرح اعتقاد أهل السنة للأصبهاني ٢ / ١٥ ـ ١٦ ، وانظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤ / ٦٢٥ ـ ٦٩٤ ـ ٧٣٠ ، وانظر : لوامع الأنوار ١ / ٢٩٩ .

وكـرَدَّة فعل للقـدرية النفـاة ظهـر أناس غلوا في الإثبـات ، حيث «نشأ في آخر عهد بني أمية أقوام زعموا أن العبد مجبور على فعله ، ليس له خيار فيما يأخذ أو يدع ، وبعضـهم يثبت للعبد قدرة غير مؤثرة ، وأول من أظهر هذا القول الشنيع : الجـهم بن صفـوان ، وتفـرع عن هذه البدعة أقوال شنيعة ، وضلال كبير »[١] .

---

(١) انظر : القضاء والقدر ، د. عمر الأشقر ص ٢٣ .

المبحث الثاني

الفرق التي ضلت في باب القدر

ضل في باب القدر فرق شتَّى ، ومنشأ ضلالهم إنما هو تقديمهم العقل على النقل ، ونظرهم إلى النصوص بعين عوراء ، فيأخذون ما وافق أهواءهم ، ويعمون ، أو يتعامون عن غيره .

ولا نحتاج في هذه المقام إلى الرد المفصل على تلك الفرق ، ومناقشة أقوالهم ، فما مضى من مناقشة بعض الأقوال وتقريرها ، وفهم باب القدر على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ـ كافٍ في الرد على تلك المقالات .

ومن تلك الفرق التي ضلت في هذا الباب ما يلي :

(١) القدرية :

وهم أتباع معبد الجهني ، وغيلان الدمشقي ، وأتباع واصل ابن عطاء ، وعمرو بن عبيد من المعتزلة ، ومن وافقهم ، هؤلاء هم القدرية ، وقولهم في القدر : إن العبد مستقل بعمله في الإرادة والقدرة ، وليس لمشيئة الله تعالى ، وقدرته في ذلك أثر ، ويقولون : إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ، وإنما العباد هم الخالقون لها ، ويقولون : إن الذنوب الواقعة ليست واقعة بمشيئة الله .

وغلاتهم ينكرون أن يكون الله قد علمها ، فيجحدون مشيئته

الشـاملة ، وقـدرته النافـذة ، ولهـذا سمـوا مجـوس هذه الأمـة ؛ لأنهم شابهوا المجوس الذي قالوا : إن للكون إلهين : إله النور : وهو خالق الخير ، وإله الظلمة : وهو خالق الشر .

والقدرية جعلوا لله شريكاً ، بل شركاء في خلقه ، فزعموا أن العباد يخلقون أفعالهم ، واستدلوا استدلالاً أعور ببعض الآيات ، كما في قوله ـ تعالى : ﴿ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة التكوير، الآية / ٢٨]، وقوله : ﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ [سورة الكهف ، الآية/ ٢٩] ، وأوَّلــوا ما عدا ذلك مما يخالف مذهبهم كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة التكوير، الآية / ٢٩] . ومنشأ ضلال هؤلاء في البداية أنهم أرادوا تنزيه الله ـ عز وجل ـ عن الشر فوقعوا في نفي القدر .

وقد مر بنا شيء من الرد على ذلك عند الحديث عن مرتبتي الخلق والمشيئة ، وعند الحديث عن خلق أفعال العباد، وعند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ، وعند خلق الشر والحكمة منه ، ويكفي في الرد عليهم قوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [سورة الصافات، الآية / ٩٦] (١) .

---

(١) انظر : المختار في أصول السنة لابن البنا ص ٨٧ ، وبغية المرتاد لابن تيمية ٢٦١ ، والصفدية ٢ / ١٠٦ ـ ١٠٩ ، والاستقامة ١/ ١٤٧ و ١٧٩ و ٤٣١ ، وانظر : مجموع الفتاوى ٨ / ٢٥٨ ، والتعريفات للجرجاني ص ١٨١ ، وشرح الواسطية للهراس ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، ورسائل في العقيدة لابن عثيمين ص ٤٠ ، والمعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها د. عواد المعتق ص ١٥١ ـ ١٥٩ ، والمعتزلة بين القديم والحديث لمحمد العبدة، وطارق عبد الحليم ص ٥٧ ـ ٥٩ ، وانظر إلى الدرة البهية لابن سعدي ص١٧ ـ ١٨ ، ومختصر التحفة الاثني عشرية ص ٩٠ ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للشيخ د. عبد الرحمن المحمود ص ٢٠٤ ـ ٢٠٦ .

٢ الجبرية :

« وهم الذين غلوا في إثبات القدر ، حتى أنكروا أن يكون للعبد فعل ـ حقيقة ـ ، بل هو في زعمهم لا حرية له ولا فعل ، كالريشة في مهب الريح ، وإنما تُسند إليه الأفعال مجازًا ، فيقال : صلى ، وصام ، وقتل ، وسرق ، كما يقال : طلعت الشمس ، وجرت الريح ، ونزل المطر ، فاتهموا ربهم بالظلم ، وتكليف العباد بما لا قدرة لهم عليه ، ومُجازاتهم على ما ليس من فعلهم ، واتهموه بالعبث في تكليف العباد ، وأبطلوا الحكمة من الأمر والنهي ، ألا ساء ما يحكمون »[(١)] .

وهؤلاء في الحقيقة يزعمون أن الله هو الفاعل الحقيقي لأفعالهم ، بخلاف ما عليه أهل السنة ، الذين يقولون : إن الله هو الخالق والعبد هو الفاعل ، ولذا ترتب على فعله الثواب والعقاب .

وهؤلاء ـ الجبرية ـ يسمون بالقدرية المشركية ، لأنهم شابهوا المشركين في قولهم : ﴿ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ١٤٨] .

وكلامهم هذا ظاهر التهافت والبطلان ، وقد مر الرد عليهم عند الحديث عن أن الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله

---

(١) شرح الواسطية للهراس ص ٢٣٠ ، وانظر : الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٠ ، والنبوات لابن تيمية ص ١٦٦ ، وانظر : الفتاوى ٨ / ٢٥٦ ، وشرح نونية ابن القيم للهراس ١ / ٣٧٢ ، والدرر السنية ١ / ٣٥٨ ـ ٣٥٩ ، والمنتقى من فرائد الفوائد للشيخ ابن عثيمين ١٠٢ ، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للشيخ د . عبد الرحمن المحمود ص ٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

الاختيارية ، وعند الحديث عن الاحتجاج بالقدر على المعاصي .

٣ القدرية الإبليسية :

الذين صدَّقوا بأن الله صدر عنه الأمران ـ أي أنه قدر ، وأنه أمر ونهى ـ ولكنهم يرون أن هذا تناقض ، وهؤلاء هم خصماء الله ـ تعالى ـ، وسموا « إبليسيةً » ؛ لأنهم أشبهوا إبليس بمقولته التي ذكرها الله عنه في القرآن ، عندما قال : ﴿ **قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف، الآية / ١٦] [(١)] .

٤ غلاة الصوفية :

الذين غلوا في الجبر « ممن يزعمون الترقي في مقام الشهود للحقيقة الكونية ، والربوبية الشاملة ، فيرون كل ما يصدر من العبد من ظلم وكفر ، وفسوق هو طاعة محضة ؛ لأنها إنما تجري وَفْقَ ما قضاه الله وقدّره ، وكل ما قضاه وقدَّره ـ فهو محبوب لديه ، مرضي عنده ، فإذا كان قد خالف أمر الشرع بارتكابه هذه المحظورات ـ فقد أطاع إرادة الله ونفَّذ مشيئته ، فمن أطاع الله وقضاءَه وقدرَه هو كمن أطاعه في أمره ونهيه كلاهما قد قام بحق العبودية لله » [(٢)] .

« ومن ثم فلا لوم ، ولا تثريب ، بل الكل مطيع بفعله لإرادة ربِّه ، فصححوا بذلك إيمان فرعون وعبدة العجل ، واليهود ، والنصارى ، والمجوس » [(٣)] ، كما صرح بذلك ابن عربي الصوفي بقوله :

---

(١) انظر : الفتاوى ٨ / ٢٦٠ ، والاستقامة ٢ / ١٣٩ .
(٢) شرح النونية للهراس (١ / ٣٧٢) .
(٣) المعتزلة بين القديم والحديث ص ٥٨ ـ ٥٩ .

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورةٍ ... فمرعى لغزلان ودير لرهباني

وبيتٌ لأوثان وكعبةُ طائفٍ ... وألواح توراة ومصحفُ قرآن

أدين بدين الحبِّ أنَّى توجهت ... ركائبُه فالحب ديني وإيماني (١)

وكقول عبد الكريم الجيلي ، وهو من أهل وحدة الوجود :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى
ومالي عن حكم الحبيب تنازعُ
فطورًا تراني في المساجد راكعًا
وأني طورًا في الكنائس راتعُ
إذا كنت في حكم الشريعة عاصيًا
فإني في علم الحقيقة طائع (٢)

وكما قال أحدهم :

أصبحت منفعلاً بما يختاره ... مني ففعلي كله طاعاتُ

وهذا المذهب من أخبث المذاهب ، ولا يُشَك بكفر أصحابه ، بل هو من أقبح أنواع الكفر .

---

(١) رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي د : موسى الدويش ص ٧٤ ، والصوفية في نظر الإسلام لسميح عاطف الزين ص ٤٧٣ ، ودراسات في التصوف لإحسان إلهي ظهير ص ١١٣ ، وانظر : كتاب نظرات في معتقد ابن عربي د : كمال عيسى ص ٤٢ ـ ٤٤ ، والشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة د : محمد بن حسين ص ١٧٢ .

(٢) هذه هي الصوفية ، عبد الرحمن الوكيل ص ٩٦ .

قال شيخ الإسلام : « فإن من احتج بالقدر ، وشهود الربوبية العامة لجميع المخلوقات ، ولم يفرق بين المأمور ، والمحظور ، والمؤمنين ، والكفار ، وأهل الطاعة ، وأهل المعصية ـ لم يؤمن بأحد من الرسل ، ولا بشيء من الكتب ، وكان عنده إبليس وآدم سواء ، ونوح وقومه سواء ، وفرعون وموسى سواء ، والسابقون الأولون وكفار مكة سواء »(١) .

٥ الفلاسفة :

الذين أنكروا « علمه ـ تعالى ـ بالجزئيات ، وقالوا : إنه يعلم الأشياء على وجه كلي ثابت ، وحقيقة قولهم أنه لا يعلم شيئًا ؛ فإن كل ما في الخارج هو جزئي » (٢) .

ويكفي في الرد عليهم قوله ـ تعالى ـ : ﴿**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٥٩)**﴾ [سورة الأنعام، الآية/ ٥٩] .

٦ الأشاعرة :

الذين أرادوا « أن يوفقوا بين الجبرية والقدرية ، فجاءوا بنظرية الكسب ، وهي في مآلها جبرية خالصة ؛ لأنها تنفي أي قدرة للعبد أو

(١) مجموع الفتاوى ٨ / ١٠٠ .
(٢) شرح الواسطية للهراس ص ٩٤ ، وانظر : درء تعارض العقل والنقل ٩ / ٣٩٧ ، وانظر: كتاب الصفدية لابن تيمية ١ / ٧ـ٨ ، والقضاء والقدر للشيخ د . عبد الرحمن المحمود ص ٧٤ـ٧٦ .

تأثير ، أما حقيقتها النظرية الفلسفية ـ فقد عجز الأشاعرة أنفسهم عن فهمها فضلا عن إفهامها لغيرهم ، ولهذا قيل :

مما يقـــال ولا حقيقـــة تحتـــه
معقولـــة تدنـــو إلى الأفهـــام
الكسب عند الأشعري ، والحال عنـــ
ـــد البهشمي وطـــفـــرة النظـــام(١)

٧ الرافضة :

وذلك لقولهم بالبداء على الله ـ عز وجل ـ فهم يرون أن الله يحصل له البداء ، أي الجهل والنسيان ، فالله ـ جل جلاله ـ عند الرافضة يفاجأ بالأشياء لم يكن علمها أو على خلاف ما كان يعلمها (٢) .

ولقولهم إن الأئمة يعلمون ما كان ، وما يكون ، ولا يخفى عليهم الشيء ، ويعلمون متى يموتون ، ولا يموتون إلا باختيارهم ، وأنهم لا

(١) منهج الأشاعرة في العقيدة ، للشيخ د . سفر الحوالي ص ٤٣ ، وانظر : لوامع الأنوار ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢ ، وانظر : الروضة البهية في ما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ص ٤٢ ، وانظر : الروض الباسم لابن الوزير ٢ / ٢١ ، والرد الأثري المفيد على البيجوري ص ١٠٣ ـ ١٠٨ ، والقضاء والقدر للشيخ د . عبد الرحمن المحمود ص ٢٠٦ ـ ٢١٣ .

(٢) انظر : الشيعة والسنة للشيخ إحسان إلهي ظهير ص ٦٣ ، والرد الوافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي ص ٩٩ ، لإحسان إلهي ظهير ، وبطلان عقائد الشيعة لمحمد عبد الستار التونسوي ص ٢٣ ، وموقف الشيعة من أهل السنة لمحمد مال الله ص٣٣ ، ومسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة د . ناصر القفاري ١/ ٣٣٤ .

يحجب عنهم علم السماء والأرض ، والجنة والنار ، وأنهم يعرفون الناس بحقيقة الإيمان ، وبحقيقة النفاق ، وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة ، وأسماء شيعتهم ، وأسماء أعدائهم [١] .

ومنهم من يقول : إن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها ، ومنهم من قال : إن الله لا يعرف الجزئيات قبل وقوعها [٢] .

كل ذلك ضلال في باب القدر ، الذي أول أركانه الإيمان بعلم الله ـ عز وجل ـ فهؤلاء جعلوا لله شركاء في علمه ـ عز وجل ـ فنقضوا هذا الركن من أساسه .

كيف يكون ذلك والله ـ عز وجل ـ يقول : ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ** ﴾ [سورة الأنعام ، الآية / ٥٩] . ويقول : ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ** ﴾ [سورة النمل ، الآية / ٦٥] .

٨ من يعتقدون تأثير الكواكب والأسماء والأبراج :

كحال الذين ينظرون في النجوم والأسماء ؛ ليستطلعوا من خلالها أسرار القدر ، فتجدهم يقولون : إذا ولد فلان في البرج الفلاني أو كان يحمل الاسم الفلاني ـ فسيصيبه كذا وكذا في يوم كذا وكذا ، ومما

---

(١) انظر : الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ٦٩ ، والشيعة والسنة لظهير ص ٦٦ ، ومسألة التقريب للقفاري ١ / ٢٩٠ ، وأصول مذهب الشيعة د . ناصر القفاري ٢ / ٦٣٨ ـ ٦٤٦ ، والموجز في المذاهب والأديان المعاصرة د . ناصر العقل ، د . ناصر القفاري ١٢٤ ، والشيعة الإمامية الإثنى عشرية في ميزان الإسلام ، تأليف ربيع بن محمد السعودي ص ١٩٠ ـ ١٩٣ ، والقضاء والقدر للمحمود ص ٢١٣ ـ ٢١٦ .

(٢) انظر إلى : مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٨١ .

يقولونه ـ أيضا : من اسمك تعرف حظك ، ومن شهر ميلادك تعرف حظك [١] ، ونحو ذلك من هذا الهذيان والتخرص والرجم بالغيب، فهذا ضلال في باب القدر ؛ لأن القدر غيب والغيب لايعلمه إلا الله ـ عز وجل ـ .

(١) انظر على سبيل المثال إلى : كتاب « حظك تعرفه من شهر ميلادك » وكتاب « حظك تعرفه من اسمك »وكلا الكتابين للأفاك الأثيم حميد الأرزي الذي يلقب بعميد الفلكيين العالميين .

المبحث الثالث

قصص ومحاورات مع القدرية

القدر كما قال ابن عباس : نظام التوحيد ، والإيمان به كما آمن به أهل السنة والجماعة ـ دل عليه العقل الصريح ، والنقل الصحيح ، والمخالف فيه مغلوب ، وحجته داحضة « ولم يستطع منطق القدرية أن يقف في مجال الحجاج مع عوام أهل السنة فضلا عن علمائهم »(١) .

ولعل في إيراد بعض القصص والمحاورت ـ زيادة إيضاح وتقرير لصحة مذهب السلف في القدر .

فمما ذكر من تلك القصص والمحاورات ما يلي :

(١) ـ سُرقت ناقة لأعرابي فجاء لحلقة عمرو بن عبيد ـ وهو من رؤوس المعتزلة وممن يقول بمذهب القدرية ـ فقال الأعرابي لعمرو : إن ناقتي سرقت فادع الله أن يردَّها عليَّ .

فقال عمرو : اللهم إن ناقة هذا المسكين سرقت ، ولم ترد سرقتها ، اللهم اردها عليه ، فقال الأعرابي : لا حاجة لي في دعائك . قال : ولِمَ؟ قال : أخاف ـ كما أراد ألا تسرق فسُرقت ـ أن يريد ردها فلا ترد(٢) ! .

(١) انظر : القضاء والقدر ، د . الأشقر ص ٦٠ .

(٢) انظر : شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٤ / ٧٣٩ ، وشرح العقيدة الطحاوية ص٢٥٠ـ٢٥١ .

٢ ـ دخل القاضي عبد الجبار الهمداني ـ أحد شيوخ المعتزلة ـ على الصاحب بن عباد ، وعنده أبو إسحاق الاسفراييني ـ أحد أئمة السنة ـ فلما رأى الأستاذ قال : سبحان من تنزه عن الفحشاء ، فقال الأستاذ : سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ، فقال القاضي : أيشاء ربنا أن يُعصى؟ قال الأستاذ : أيعصى ربنا قهراً ؟ قال القاضي : أرأيت إن منعني الهدى ، وقضى عليَّ بالردى أحسن إليَّ أم أساء ؟ قال الأستاذ : إن منعك ما هو لك فقد أساء ، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء ، فبُهت القاضي عبد الجبار (١) .

٣ ـ هذا وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ـ رحمه الله ـ في الدرة البهية عدداً من الأمثلة التي تكشف مسألة القضاء والقدر ، ومن تلك الأمثلة : قصة الرجل الجبري ، حيث قال فيها : « كان رجل قد غلا في الجبر والقدر غلواً عظيماً ، فكان يعتذر بالقدر عند كل جليل وحقير ، حتى آلت به الحال إلى الاستهتار وانتهاك أصناف المعاصي ، وكلما نُصح وليم على أفعاله ـ جعل القدر حجة له في كل أحواله .

وكان له صاحب يعذله ، وينصحه عن هذه المقالة التي تخالف العقل ، والنقل ، والحس ، ولا يزيده العذل إلا إغراءاً ، وكان صاحبه ينتظر وينتهز الفرصة في إلزامه بأمور تختص به ، وتتعلق .

وكان هذا الجبري صاحب ثروة ، له أموال منوعة ، وقد وكل عليها الوكلاء والعملة ، فصادف في وقت متقارب ـ أن جاءه صاحبُ

---

(١) انظر : هامش شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٥١ ، وانظر : دفع إيهام الاضطراب ص٢٨٦ ـ ٢٨٧ .

ما شيته ، فقال : إن الماشية هلكت ، وتلفت جميعُها ؛ لأني رعيتها في أرض مجدبة ، ليس فيها عود أخضر ، فقال له : وعملت ذلك وأنت تعلم أن الأرض الفلانية مخصبة ، فما عذرك في ذلك ؟ فقال : قضاء الله وقدره ، وكان ممتلئًا غضبًا قبل ذلك ، فزاد غضبه من هذا الكلام ، واستشاط غضبه ، وكاد يتقطع من هذا الاعتذار .

وجاءه صاحب البضائع ، فقال : إني سلكت هذا الطريق المخوف ، فاقتطع المال قطَّاعُ الطريق ، فقال له : كيف تسلك هذا الطريق المخوف ـ مع علمك أنه مخوف ـ وتترك الطريق الآمن الذي لا تشك في أمنه ؟

فأجابه بمثل جواب الراعي للماشية ، وعمل معه الجبري ما عمله مع صاحبه .

ثم جاء وكيله على تربية أولاده ، وحفْظهم ، فقال : إني أمرتهم أن ينزلوا في البئر الفلانية ؛ ليتعلموا السباحة فغرقوا ، فقال : لم فعلت ذلك وأنت تعلم أنهم لايحسنون السباحة ؟ والبئر المذكورة تعلم أن ماءها غزير ؟ فكيف تتركهم ينزلون وحدهم وأنت لست معهم؟

فقال : هكذا قضاء الله وقدره .

فغضب عليه غضبًا لا يشبه الغضب على الأولين ، وكاد الغضب أن يقتله ، وكل واحد من هؤلاء الذي وكلهم على ما ذكرنا يزداد غضبه عليه إذا قال له : هذا قضاء الله وقدره ، فحينئذ قال له صاحبه : يا عجبًا لك يا فلان! كيف قابلت هؤلاء المذكورين بهذا الغضب البليغ ، ولم

تعذرهم حين اعتذروا بالقدر ، بل زاد هذا الاعتذار في جرمهم عندك ، وأنت مع ربك ـ في أحوالك المخجلة ـ قد سلكت مسلكهم ، وحذوت حذوهم ؟! فإن كان لك عذر ـ فهم من باب أولى أعذر وأعذر ، وإن كانت أعذارهم تشبه التهكم والاستهزاء ـ فكيف ترضى أن تكون مع ربك هكذا ؟!

فانتبه الجبري حينئذ ، وصحا بعد ما كان غارقًا في غلوه ، وقال : الحمد لله الذي أنقذني مما كنت فيه ، وجعل لي موعظة وتذكيرًا من هذه الوقائع التي وقعت لي ، ولمست فيها غلطي الفاحش ، والآن : أعتقد أن ما حصل لي من نعمة الهداية إلى الحق ـ أعظم عندي من هذه المصائب الكبيرة ، كما تحققت في قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ [سورة البقرة ، الآية / ٢١٦] (١) .

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية ، في حل المشكلة القدرية ص ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، وانظر إلى : طريق الهجرتين ١٥٧ ـ ١٦٣ .

الخاتمة

الخاتمة

وبعد هذا التطواف في مباحث القضاء والقدر ـ هذا إجمال لأهم ما ورد في تلك المباحث ، وذلك من خلال النقاط الآتية :

(١) الإيمان بالقدر من أهم مباحث العقيدة ، فهو ركن من أركان الإيمان ، والإيمان به تمام التوحيد ، وكتب السلف الصالح في العقيدة اهتمت به ، وأطنبت في ذكره .

(٢) باب القدر أعوص أبواب العقيدة ، ولا يمكن أن يفهم إلا بفهم السلف الصالح ـ أهل السنة والجماعة ـ ، ولا يمكن لكل أحد أن يفهمه على وجه التفصيل .

(٣) القدر هو تقدير الله للكائنات حسبما سبق به علمُه ، واقتضته حكمته .

(٤) الحديث عن القدر لا يمنع بإطلاق ، ولا يفتح بإطلاق ، بل إن الأمر فيه تفصيل ، فإن كان الحديث عن القدر بالمنهج العلمي الصحيح المعتمد على الكتاب والسنة ، وكان الحديث عنه مراداً به الوصول إلى الحق ـ فإنه لا يمنع ولا ينهى عنه ، بل قد يجب ، وإن كان الحديث عنه خوضًا بالباطل ، واعتماداً في فهمه على العقل المجرد ، أو كان للاعتراض أو التنازع أو التعنت ـ فإنه لا يجوز البتة .

(٥) الإيمان بالقدر يثمر ثمرات جليلة على الأفراد والمجتمعات في

الدنيا والآخرة .

(٦) الإيمان بالقدر دل عليه الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، والفطرة، والعقل ، والحس .

(٧) الإيمان بالقدر يقوم على أربعة أركان تسمى : مراتب القدر وهي : العلم ، والكتابة ، والمشيئة ، والخلق .

(٨) أفعال العباد داخلة في عموم خلقه - عز وجل - ولا يخرجها عن ذلك العموم شيء .

(٩) التقدير ينقسم إلى خمسة أقسام وهي :

أ - التقدير العام لجميع الكائنات .

ب - التقدير البشري : وهو التقدير الذي أخذ الله فيه الميثاق على جميع البشر بأنه ربهم، وأنه أشهدهم على أنفسهم بذلك ، والذي قدَّر الله فيه أهل السعادة وأهل الشقاوة .

جـ - التقدير العمري وهو تقدير كل ما يجري على العبد من لدن نفخ الروح فيه إلى نهاية أجله .

د - التقدير السنوي : وهو تقدير ما يجري كل سنة ، وذلك ليلة القدر من كل سنة .

هـ - التقدير اليومي : وهو تقدير ما يجري كل يوم ، كما قال تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [سورة الرحمن ، الآية : ٢٩] .

(١٠) الواجب على العبد في باب القدر أن يؤمن بقضاء الله وقدره ، ويؤمن بشرع الله وأمره ونهيه ، فعليه تصديق الخبر وطاعة الأمر ، فإذا أحسن حمد الله - تعالى - وإذا أساء استغفر الله - تعالى - وعلم أن ذلك بقدر الله ، فهذا هو الواجب على العبد، ولا يلزم كل أحد أن يعرف مباحث القدر على وجه التفصيل كما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة ، فهم لا يوجبون على العاجز ما يوجبون على القادر .

(١١) الإيمان بالقدر لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية ، وأن يكون له قدرة عليها ، بل له مشيئة وقدرة ، وهما تابعتان لمشيئة الله وقدرته .

(١٢) فعل الأسباب لا ينافي الإيمان بالقضاء والقدر بل إن ذلك من تمام الإيمان به .

(١٣) الاحتجاج بالقدر إنما يسوغ عند المصائب لا المعائب .

(١٤) الإرادة الربانية تنقسم إلى قسمين :

١ - كونية قدرية : وهي مرادفة للمشيئة ولا يخرج عن مرادها شيء أبدًا ولا بد أن تقع .

٢ - شرعية دينية : وتتضمن محبة الرب ورضاه ، ولا يلزم وقوعها ، فقد تقع وقد لا تقع .

(١٥) الشر لا ينسب إلى الله - عز وجل - فهو منزه عن الشر ، ولا يفعل إلا الخير ، والقدر من حيث نسبتُه إلى الله لا شر فيه بوجه

من الوجوه ؛ فإنه علم الله ، وكتابته ، ومشيئته ، وخلقه ، وذلك خير محض ، فالشر إنما هو في المقضي لا في القضاء ، وفي مفعولات الله لا في أفعاله ـ عز وجل ـ .

(١٦) قد يريد الله أمراً ، ويشاؤه ، وفي الوقت نفسه لا يحبه ؛ لأن المراد نوعان :

١ ـ مراد لنفسه إرادة الغايات مثل خلق جبريل ـ عليه السلام ـ .

٢ ـ مراد لغيره : فهو وسيلة إلى غيره مثل خلق إبليس ، فهو مكروه لله من حيث نفسه وذاته ، مراد له ـ عز وجل ـ من حيث قضاؤه وإيصاله إلى مراده ، فهو سبب لحصول محابٍّ كثيرة ، فيجتمع الأمران بُغْضُه له وإرادتُه له ولا يتنافيان .

(١٧) لله ـ عز وجل ـ الحكمة البالغة في كل فعل من أفعاله ، وقد تظهر لنا الحكمةُ ، وقد تخفى ، ولا يلزم أن ندرك حكمته ـ عز وجل في كل شيء أو أن يدرك ذلك كل أحد .

(١٨) وجوب الرضا بقضاء الله ـ عز وجل ـ فيه تفصيل ؛ فإن كان ما قُضي وقُدِّر مرضيًا لله محبوباً له كالإيمان وسائر الطاعات ـ رضينا به ، وإن كان غير مرضي لله ولا محبوب له ـ كالمعاصي والكفر ـ فلا نرضى به ، فعلينا موافقة ربنا في رضاه وفي سخطه ؛ فالدين موافقة ربنا في كراهة الكفر والفسوق والعصيان مع تركها ، وموافقته في محبة الشكر والطاعة مع فعلها .

أو يقال : نرضى بالقضاء الذي هو فعل الله ـ تعالى ـ وأما

المقضي الذي هو فعل العبد ـ ففيه تفصيل ؛ فإن كان مرضيا لله ـ رضينا به ، وإن كان غير مرضي لله ـ لم نرض به .

(١٩) القدر قدران أحدهما : القدر المثبت أو المبرم ؛ وهو ما في أم الكتاب، فهذا لا يتغير ولا يتبدل .

والثاني : القدر المعلق أو المقيد وهو ما في كتب الملائكة فهذا هو الذي يقع فيه المحو والإثبات .

(٢٠) الإنسان مخير باعتبار ومسير باعتبار ؛ فهو مخيَّر باعتبار أن له قدرة ومشيئة واختياراً ، ومسيَّر باعتبار أنه في جميع أفعاله داخل في القدر راجع إليه ، ولكونه لا يخرج عما قدره الله له .

والأولى بدلاً من أن يقال هل الإنسان مسير أم مخير أن يقال : هل للإنسان قدرة ومشيئة أم لا ؟

والجواب : أن له مشيئةً وقدرةً ، ومشيئتُه وقدرتُه واقعتان بمشيئة الله ـ عز وجل ـ تابعتان لها .

(٢١) ورد في البحث ذكر لبعض الأخطاء التي تقع في باب القضاء والقدر .

(٢٢) إنكار القدر لم يكن معروفًا عند العرب لا في جاهليتها ولا في إسلامها، وإنما أتاهم ذلك من الأمم الأخرى .

(٢٣) أول من قال بالقدر في هذه الأمة رجل يقال له : سوسن أو سيسويه أو سنسويه ، وكان نصرانيًا فأسلم ثم تنصَّر ، وأخذ

عنه هذه البدعة مَعْبَدُ الجهني ، وأخذها عن معبد غيلانُ الدمشقي ، ثم تلقفها بعد ذلك رؤوس الاعتزال ونشروها .

(٢٤) ظهرت هذه البدعة أول ما ظهرت في عهد صغار الصحابة كابن عباس، وابن عمر ، وجابر ـ رضي الله عنهم ـ وقد اشتد نكيرهم على هذه البدعة ، وأعلنوا براءتهم منها .

(٢٥) ضل في باب القدر فرق عديدة ، وقد ورد في هذا البحث ذكر أقوالهم وبيان ضلالهم .

(٢٦) ورد في هذا البحث ذكر بعض المحاورات والقصص مع القدرية، يتبين من خلالها صحةُ مذهب السلف في هذا الباب .

هذا ملخص ما ورد في هذا البحث ، وفي الختام أسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ أن ينفع به ، وأن يجعله خالصًا لوجهه ؛ إنه على ذلك قدير والإجابة جدير . والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله تسليمًا كثيرًا ،،،

فهرس المصادر المراجع

أ

١ ـ الآداب الشرعية والمنح المرعية ، لابن مفلح المقدسي ، مكتبة ابن تيمية القاهرة .

٢ ـ الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ .

٣ ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ، لابن بطة العكبري ، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٤ ـ الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري ، مكتبة الرشد ط ٢ ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٥ ـ الاحتجاج بالقدر ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ، نشره قصي محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، القاهرة .

٦ ـ الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، لابن قتيبة ، قدم له ، وعلق عليه ، وخرَّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر ، دار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٧ ـ أدب الدنيا والدين ، للماوردي ، تحقيق د . محمد الصباح ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٨٧م .

٨ ـ الاستقامة ، لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم ، توزيع مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ .

٩ ـ أصول أهل السنة والجماعة ، المسماة برسالة الثغر ، لأبي الحسن

الأشعري ، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند ، دار اللواء للنشر والتوزيع ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

١٠ ـ أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنى عشرية ، عرض ونقد، د . ناصر القفاري ط ١ ، ١٤١٤هـ .

١١ ـ الاعتقاد على مذهب السلف ، أهل السنة والجماعة ، للبيهقي ، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع .

١٢ ـ أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة ، أو ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية ، تأليف الشيخ : حافظ الحكمي ، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه : مصطفى أبو النصر الشلبي ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ ، مكتبة السوادي جدة .

١٣ ـ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، لابن القيم الجوزية ، تحقيق الشيخ . محمد حامد الفقي .

١٤ ـ إفادة الخبر بنصه في زيادة العمر ونقصه ، للسيوطي ، تحقيق عبد الحميد شانوحة ، الناشر : مكتبة دار الوفا للنشر والتوزيع ، جدة .

١٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، تحقيق د. ناصر العقل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

١٦ ـ الأمالي لأبي علي القالي ، منشورات المكتب الإسلامي .

١٧ ـ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء تأليف الإمام الحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي النميري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

١٨ ـ الإيمان : أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه د : محمد نعيم ياسين .
١٩ ـ الإيمان بالقضاء والقدر ، وأثره على القلق النفسي ، طريفة بنت سعود الشويعر ، دار البيان العربي ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ .

- ب -

٢٠ ـ بدائع الفوائد لابن القيم ، مكتبة الرياض الحديثة .
٢١ ـ البداية والنهاية لابن كثير ، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح ، دار زمزم ، الرياض ١٤١٤هـ .
٢٢ ـ بطلان عقائد الشيعة ، لمحمد عبد الستار التونسوي ، المكتبة الإمدادية ، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ
٢٣ ـ بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د : موسى بن سليمان الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .
٢٤ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس ، وشحذ الذاهن والهاجس للإمام ابن عبد البر ، تحقيق د. محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨١م .

ت

٢٥ ـ تاريخ الأدب العربي ، أحمد حسن الزيات ، دارالثقافة العربية ، بيروت، لبنان .
٢٦ ـ تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .
٢٧ - تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ، شرحه ونشره أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، بيروت .

٢٨ ـ التبيان في أقسام القرآن لابن القيم ، تحقيق : محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
٢٩ ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للمباركفوري ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ .
٣٠ ـ تحفة المودود في أحكام المولود لابن القيم ، تحقيق : بشير عيون ، الناشر : مكتبة دار البيان ، التوزيع : مكتبة المؤيد ط ٢ ١٤٠٧هـ.
٣١ ـ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية ، فالح بن مهدي آل مهدي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
٣٢ ـ التدمرية ، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات ، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع ، لابن تيمية ، تحقيق محمد بن عودة السعوي ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
٣٣ ـ التعريفات ، للجرجاني ، مكتبة لبنان ١٩٩٠م .
٣٤ ـ التعليقات ـ على متن لمعة الاعتقاد ، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
٣٥ ـ تفسير البغوي ـ معالم التنزيل ـ للإمام البغوي ، تحقيق : محمد عبدالله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان الحرش ، دار طيبة، ط١ ، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .
٣٦ ـ تفسير القرآن العظيم ، لابن كثير ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٣٧ ـ التفسير القيم ، لابن القيم ، دار الفكر ، تحقيق محمد حامد الفقي ١٤٠٨هـ.

٣٨ ـ تقريب التدمرية ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

٣٩ ـ التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة ، للعلامة عبد الرحمن بن سعدي ، مع تعليق سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز ، تخريج الشيخ علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، دار ابن القيم .

٤٠ ـ تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل ، للإمام الشوكاني ، علق عليها وخرَّجها : مشهور بن حسن سلمان ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ، دار ابن حزم ، بيروت .

٤١ ـ تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة ، تأليف الشيخ سليمان بن سحمان ، دارالعاصمة ، الرياض .

٤٢ ـ توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

٤٣ ـ تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ سليمان ابن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ، الطبعة الثامنة ١٤٠٩هـ ، المكتب الإسلامي .

٤٤ ـ تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ، لابن سعدي ، الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ، مكتبة الأقصى عنيزة .

ج

٤٥ ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لابن جرير الطبري ، دارالفكر ، بيروت ١٤٠٥هـ.

٤٦ ـ جامع الرسائل ، لابن تيمية ، د . محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٧ ـ الجامع الصحيح في القدر ، للشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

٤٨ ـ جامع العلوم والحكم ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م .

٤٩ ـ جمهرة أشعار العرب ، لأبي زيد القرشي ، شرحه وضبطه وقدم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط ١ ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٥٠ ـ جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت ، البابي الحلبي ط ٢ ، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م .

٥١ ـ جنة الرضا في التسليم لما قدرالله وقضى ، لأبي يحيى محمد ابن عاصم الغرناطي ، تحقيق د . صلاح جرار ، دار البشير ١٤١٠هـ.

ح

٥٢ ـ حاشية كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٥٣ ـ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة ، إملاء : الحافظ قوام السنة أبي إسماعيل بن محمد الفضل التيمي الأصبهاني ، تحقيق ودراسة د . محمد بن ربيع هادي المدخلي ومحمد بن محمود أبو رحيم ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، دار الراية للنشر والتوزيع الرياض .

٥٤ ـ الحسنة والسيئة ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ .

٥٥ ـ حظك تعرفه من اسمك ، لحميد الأرزي ، الناشر مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٨٨م .

٥٦ ـ حظك تعرفه من شهر ميلادك ، لحميد الأرزي ، الناشر مكتبة ، مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٩٨٨م .

٥٧ ـ الحكمة والتعليل في أفعال الله ، تأليف د . محمد بن ربيع المدخلي ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ، مكتبة لينة للنشر والتوزيع ، دمنهور .

٥٨ ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم الأصفهاني ، دارالكتب العلمية ، بيروت .

خ

٥٩ ـ الخطوط العريضة ، لمحب الدين الخطيب ، تقديم وتعليق الشيخ محمد مال الله ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

٦٠ ـ خلاصة معتقد أهل السنة ، تأليف الشيخ عبد الله بن سليمان

المشعلي ، تحقيق الشيخ : عبد الله بن جار الله الجار الله ، وخرج أحاديثه . محمد بن صالح الدحيم ، مكتبة ابن خزيمة الرياض ، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ.

٦١ ـ خلق أفعال العباد أو الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل ، للإمام البخاري ، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

د

٦٢ ـ درء تعارض العقل والنقل ، لابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية .

٦٣ ـ دراسات في التصوف ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر : إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

٦٤ ـ الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية ، لابن تيمية ، تأليف الشيخ عبد الرحمن بن سعدي ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٤٠٦هـ.

٦٥ ـ الدرر السنية في الأجوبة النجدية ، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، الطبعة الخامسة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

٦٦ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٦٧ ـ دع القلق ، وابدأ الحياة ، ديل كارنيجي ، تعريب عبد المنعم محمد الزيادي، ١٩٨٠م ، الناشر : مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٦٨ ـ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، للشيخ محمد الأمين

الشنقيطي ، مطابع الرياض ، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ.
٦٩ ـ الدين الخالص ، تأليف السيد محمد صديق حسن ، مكتبة دار التراث ، القاهرة .
٧٠ ـ ديوان الإمام الشافعي ، جمعه وعلق عليه محمد عفيف الزعبي ، دار المطبوعات الحديثة ، الطبعة الخامسة .
٧١ ـ ديوان الإمام علي ، جمعه وضبطه نعيم زرزور ، دارالكتب العلمية ، بيروت .
٧٢ ـ ديوان الإمام الشافعي تحقيق د . محمد عبد المنعم خفاجي ، عالم الكتب ، ط ١ ، ١٤١٠هـ.
٧٣ ـ ديوان عنترة ، دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٩٨هـ.
٧٤ ـ ديوان كعب بن زهير ، صنعة السكري ، شرح ودراسة د . مفيد قميحة ، دار الشواف للطباعة والنشر ، الرياض ، ط ١ ، ١٤١٠هـ.
٧٥ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، دار صادر ، بيروت .
٧٦ ـ ديوان المتنبي بشرح العكبري ، ضبطه وصححه عبد الحفيظ شلبي ، ومصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

ذ

٧٧ ـ ذيل طبقات الحنابلة ، لابن رجب الحنبلي ، مطبعة السنة المحمدية ، تحقيق . محمد حامد الفقي ١٣٧٢هـ .

ر

٧٨ ـ الرد الأثري المفيد على البيجوري في شرح جوهرة التوحيد ، عمر ابن محمود أبو عمر ، دار الكتب الأثرية للتحقيق والنشر ، ودار الراية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

٧٩ ـ الرد الكافي على مغالطات د : علي عبد الواحد وافي ، في كتابه بين الشيعة والسنة ، لإحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، باكستان .

٨٠ ـ رسائل في العقيدة ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٨١ ـ رسائل وفتاوى في ذم ابن عربي الصوفي ، جمع وتحقيق د . موسى ابن سليمان الدويش ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٨٢ ـ الروض الباسم في الذبِّ عن سنة أبي القاسم ، للإمام محمد ابن إبراهيم الوزير اليماني ، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤٠٣هـ.

٨٣ ـ الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية لأبي عذبة ، حققه د . عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٨٤ ـ الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية ، للشيخ زيد بن فياض ، الطبعةالثانية ١٣٨٨هـ ، الناشر مكتبة الرياض الحديثة .

٨٥ ـ الرياض الناضرة ، والحدائق الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة ، تأليف الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي ، مؤسسة قرطبة ، صححه واعتنى به وعلق عليه : أشرف بن عبد المقصود ابن

عبدالرحيم .

ز

٨٦ ـ زاد المسير في علم التفسير ، لابن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م .

س

٨٧ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ ، المكتب الإسلامي .
٨٨ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٥ ، ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م ، المكتب الإسلامي .
٨٩ ـ سنن ابن ماجة ، دار الدعوة ، دار سحنون ، ترقيم محمد عبد الباقي ، الطبعة الثانية .
٩٠ ـ سنن أبي داود ، دار الدعوة ، دار سحنون ، الطبعة الثانية .
٩١ ـ السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية ، د. عبد الكريم زيدان ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ، مؤسسة الرسالة .
٩٢ ـ سنن الترمذي ، دارالدعوة ، دار سحنون ، الطبعة الثانية .
السنة لابن أبي عاصم ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني .
٩٣ ـ السنة للإمام عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق ودراسة د . محمد بن سعيد القحطاني ، رمادي للنشر ، والمؤتمن للتوزيع ،

ط٢، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

٩٤ ـ سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه مالك بن أنس وأصحابه ، تأليف أبي محمد عبد الله بن عبد الحكم ، نسخها وصححها وعلق عليها أحمد عبيد ، ط ٦ ، ١٤٠٤هـ ، عالم الكتب .

- ش -

٩٥ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ، للالكائي ، تحقيق د . أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ، دار طيبة ، الرياض .

٩٦ ـ شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٨م .

٩٧ ـ شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، تحقيق د . محمد بن سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ط ١ ، ١٤٠٨هـ .

٩٨ ـ شرح العقيدة الطحاوية ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثامنة ١٤٠٤هـ .

٩٩ ـ شرح العقيدة الواسطية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تأليف الشيخ محمد خليل الهراس ، ضبط نصه وخرج أحاديثه علوي السقاف ، الطعبة الأولى ١٤١١هـ ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض ، الثقبة .

١٠٠ ـ شرح القصائد المشهورات ، لابن النحاس ، دارالكتب العالمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

١٠١ـ شرح القصيدة النونية ، لابن القيم ، لمحمد خليل هراس ، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر .

١٠٢ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ، للشيخ عبد الله ابن محمد الغنيمان ، مكتبة لينة ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٠٣ـ شرح المعلقات العشر ، للزوزني ، دار مكتبةالحياة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٨٣م.

١٠٤ـ الشريعة ، للآجري ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٠٥ـ الشعر الصوفي إلى مطلع القرن التاسع للهجرة ، د . محمد ابن سعد بن حسين ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

١٠٦ـ شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه ، د . زكريا عبد الرحمن صيام ، مطابع دار الشعب بالقاهرة ١٣٩٦هـ.

١٠٧ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيم الجوزية تحرير الحساني حسن عبد الله ، مكتبة دار التراث ، القاهرة.

١٠٨ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي ، تحقيق وتعليق نجم عبد الرحمن خلف ، دار الفرقان ، دار الرسالة ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م .

١٠٩ـ شيخ الإسلام أحمد تقي الدين ابن تيمية جهاده ـ دعوته ـ عقيدته ، تأليف الشيخ أحمد القطان ومحمد الزين ، مراجعة سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز ، مكتبة السندس ، ط ٢ ، ١٤٠٩هـ.

١١٠ـ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيع العقيدة ، د .

عبد الرزاق العباد ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ، مكتبة الرشد .

١١١ ـ الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام ، تأليف : ربيع ابن محمد السعودي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٤١٤هـ.

١١٢ ـ الشيعة والسنة ، لإحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، الطبعة الخامسة ١٣٩٧هـ .

ص

١١٣ ـ صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري ، بقلم الشيخ محمد ناصرالدين الألباني ، دار الصديق للنشر والتوزيع ط ١ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

١١٤ ـ صحيح البخاري ، للإمام البخاري ، دار سحنون ، دار الدعوة ، الطبعة الثانية .

١١٥ ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصرالدين الألباني ، أشرف عليه زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١١٦ ـ صحيح سنن الترمذي ، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١١٧ ـ صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، دار الفكر .

١١٨ ـ صحيح مسلم للإمام مسلم ، من منشورات دارالآفاق الجديدة ، بيروت، وطبعة دار الدعوة ، ودار سحنون ، بترقيم عبد الباقي .

١١٩ ـ الصوفية في نظر الإسلام ، دراسة وتحليل سميح عاطف الزين ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ .

١٢٠ ـ صون المكرمات برعاية البنات ، جاسم الفهيد الدوسري ، دارالبشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م .
١٢١ ـ صيد الخاطر لابن الجوزي ، مكتبة العلم بجدة ، مكتبة ابن تيمية .
١٢٢ ـ صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان ، للشيخ محمد بشير السهسواني الهندي ، الناشر مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الرابعة ١٤١٠هـ .

ط

١٢٣ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين ، لابن قيم الجوزية ، ضبط نصه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر ، دار ابن القيم ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .

ع

١٢٤ ـ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٨هـ .
١٢٥ ـ العقيدة الواسطية ، شرح الشيخ د . صالح الفوزان ، الطبعة الخامسة ١٤١١هـ ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .
١٢٦ ـ العقيدة الواسطية ، علق حواشيها وأشرف على تصحيحها الشيخ محمد بن مانع ، طبع بمطابع الإشعاع بالرياض .
١٢٧ ـ العلمانية ، للشيخ د . سفر الحوالي ، الدار السلفية ١٤٠٨هـ .
١٢٨ ـ عنوان المجد في تاريخ نجد ، للعلامة عثمان بن بشر ، مكتبة الرياض

الحديثة .
١٢٩ـ عـودة الحجـاب ، د : محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم ، دار طيبة ط٥ .

ف

١٣٠ـ الفتاوى التي لخصها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من فتاوى ابن تيمية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق وتعليق السيد بن عبد المقصود الأثري ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ، دار عالم الكتب .
١٣١ـ الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق وتعليق وتقديم . محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، دارالريان للتراث، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.
١٣٢ـ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ، جمع وترتيب الشيخ أحمد بن عبد الرازق الدويش ، مكتبة المعارف ، الرياض ١٤١٢هـ.
١٣٣ـ فتاوى محمد بن إبراهيم ، جمع وترتيب الشيخ محمد بن قاسم ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.
١٣٤ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
١٣٥ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للإمام محمد بن علي الشوكاني ، عالم الكتب .
١٣٦ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل

الشيخ ، تعليق الشيخ ابن باز ، مؤسسة قرطبة .
١٣٧ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ، لابن تيمية ، تحقيق زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ .
١٣٨ ـ الفوائد ، لابن القيم ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية . ١٤٠٦هـ.
١٣٩ ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للمناوي ، دارالمعرفة للطباعة والنشر ، لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩١هـ.
١٤٠ ـ في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ط ١١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

ق

١٤١ ـ القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان ، دراسة وتحقيقًا ، حققه سعود بن عبد العزيز الخلف ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ١٤١٠هـ.
١٤٢ ـ القاموس المحيط ، للفيروزآبادي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.
١٤٣ ـ القضاء والقدر حق وعدل ، هشام عبد الرزاق الحمصي ، دار الكلم الطيب ، دمشق . بيروت ط ١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .
١٤٤ ـ القضاء والقدر ، أبو الوفاء محمد درويش ، المكتبة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
١٤٥ ـ القضاء والقدر ، أسعد محمد سعيد الصاغرجي ، دارالقبلة للثقافة الإسلامية ١٤١٢هـ .

١٤٦ـ القضاء والقدر ، د . عمر الأشقر ، دارالنفائس للنشر والتوزيع ، الكويت ، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

١٤٧ـ القضاء والقدر في الإسلام ، د . فاروق أحمد الدسوقي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، مكتبة الخاني ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ ، الرياض.

١٤٨ـ القضاء والقدر ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة آسام ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٤٩ـ القضاء والقدر ، للشيخ محمد متولي الشعراوي ، دار الندوة ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

١٥٠ـ القضاء والقدر في الكتاب والسنة ، ومذاهب الناس فيه للشيخ عبدالرحمن بن صالح المحمود ، دارالنشر الدولي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

١٥١ـ القول السديد شرح كتاب التوحيد ، للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، دار الوطن ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

ك

١٥٢ـ كتاب الدعاء ، للحافظ الطبراني ، تحقيق محمد سعيد البخاري ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ.

١٥٣ـ كتاب الصفدية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق د . محمد رشاد سالم، الناشر : مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

١٥٤ـ كشف الأستار عن زوائد البزار ، تأليف الحافظ نور الدين الهيثمي ،

تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤٠٤هـ.
١٥٥ ـ الكلمات المخالفة وآفات اللسان ، سيد عاصم علي ، دار الفنون ، جدة، ط١ ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

ل

١٥٦ ـ لسان العرب ، لابن منظور الأفريقي ، دار الفكر .
١٥٧ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة ، شرح الشيخ محمد بن عثيمين ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢هـ ، مكتبة الإمام البخاري ، الدار السلفية ، حققه وخرج أحاديثه أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم .
١٥٨ ـ لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، لابن قدامة ، خرج أحاديثها وعلق عليها بدر بن عبد الله البدر ، الدار السلفية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
١٥٩ ـ لوامع الأنوار البهية ، وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية ، تأليف العلامة محمد بن أحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، مكتبة أسامة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ.

م

١٦٠ ـ مجلة البحوث الإسلامية ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ، عدد ٣٤ لعام ١٤١٣هـ.

١٦١ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للهيثمي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٦٢ ـ مجموعة دروس وفتاوى الحرم المكي ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين من عام ١٤٠٧هـ إلى عام ١٤١٠هـ ، دار اليقين للنشر والتوزيع ، المنصورة ، توزيع دار طيبة ، الرياض .

١٦٣ ـ المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن ابن سعدي ، مركز صالح بن صالح الثقافي ، عنيزة ١٤١١هـ .

١٦٤ ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد .

١٦٥ ـ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، جمع وترتيب الشيخ فهد السليمان ، دار الوطن ط١ ، ١٤١٢هـ .

١٦٦ ـ المختار في أصول السنة ، تأليف أبي الحسن أحمد البنا الحنبلي ، تحقيق د. عبد الرزاق العباد ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

١٦٧ ـ مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ، للشيخ عبد العزيز السلمان ، الطبعة العاشرة ١٤٠٣هـ.

١٦٨ ـ مختصر التحفة الاثنى عشرية ، تحقيق وتعليق محب الدين الخطيب ، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض ١٤٠٤هـ.

١٦٩ ـ مختصر صحيح مسلم للمنذري ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، منشورات لجنة إحياء السنة ، أسيوط .

١٧٠ ـ مدراج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لابن القيم ،

تحقيق وتعليق المعتصم بالله البغدادي ، توزيع دار النفائس ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
١٧١ ـ المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ، جمع وتحقيق ودراسة عبد الإله الأحمدي ، دار طيبة ، الطبعة الأولى ١٩٩١م ـ ١٤١٢هـ.
١٧٢ ـ مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، د . ناصر القفاري ، دار طيبة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٧٣ ـ مسألة القضاء والقدر ، تأليف عبد الحليم قنبس وخالد العك ، دار الكتاب العربي ، حلب ، دمشق .
١٧٤ ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم ، الناشر مكتبة النصر الحديثة ، الرياض.
١٧٥ ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، دار الدعوة ، دار سحنون ، الطبعة الثانية .
١٧٦ ـ المسند للإمام أحمد بن حنبل ، شرحه وصنع فهارسه الشيخ أحمد محمد شاكر ، مكتبة دارالكتاب الإسلامي بالقاهرة ، الطبعة الثانية .
١٧٧ ـ مشكاة المصابيح ، للتبريزي ، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ .
١٧٨ ـ معارج القبول لشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد ، للشيخ حافظ الحكمي ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .
١٧٩ ـ المعتزلة بين القديم والحديث ، محمد العبده ، طارق عبد الحليم ، دار الأرقم ، برمنجهام ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٨٠ ـ المعتزلة وأصولهم الخمسة ، وموقف أهل السنة منها ، د . عواد ابن عبد الله المعتق ، دارالعاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٨١ ـ معجم الطبراني الكبير ، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

١٨٢ ـ معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس ، بتحقيق وضبط عبد السلام هارون، طبعة دار الجيل ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ .

١٨٣ ـ معجم المناهي اللفظية ، للشيخ د . بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

١٨٤ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار للعراقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

١٨٥ ـ مفتاح دار السعادة لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٨٦ ـ المنتقى من فرائد الفوائد للشيخ ابن عثيمين ، دار الوطن ١٤١١هـ ، الطبعة الأولى .

١٨٧ ـ منهاج السنة النبوية لابن تيمية ، تحقيق ، د . محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٨٨ ـ منهج الأشاعرة في العقيدة للشيخ د . سفر الحوالي . الدار السلفية، الكويت ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

١٨٩ ـ منهج القرآن في القضاء والقدر ، محمود غريب ، مكتبة الثقافة الإسلامية ، المكتبة السلفية ، الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ .

١٩٠ ـ الموجز في المذاهب والأديان المعاصرة ، للشيخ د . ناصر العقل ، د. ناصر القفاري ، دار الصميعي ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

١٩١ ـ الموطأ للإمام مالك بن أنس ، محمد عبد الباقي ، دار الحديث .
١٩٢ ـ موقف الشيعة من أهل السنة ، لمحمد مال الله ، مكتبة ابن تيمية ، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ .

ن

١٩٣ ـ النبوات ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٩٤ ـ نظرات في معتقد ابن عربي ، د : كمال محمد عيسى ، دار المجتمع للنشر والتوزيع ، جدة ، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ،
١٩٥ ـ النهاية في غريب الحديث ، لابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزواوي ومحمود الطناحي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

هـ

١٩٦ ـ هذه هي الصوفية ، تأليف : عبد الرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م .

و

١٩٧ ـ الوابل الصيب من الكلم الطيب ، للإمام ابن قيم الجوزية ، دراسة وتحقيق : محمد عبد الرحمن عوض ، دارالكتاب العربي ، بيروت، ط١ ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .

فهرس الموضوعات

الموضـوع الصفحـة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

توزيـــع :

مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان

الرياض ١١٤٣١ ـ ص . ب : ١٤٠٥

☎ ٤٠٢٢٥٦٤ ـ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦